إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

موسوعة
القيم ومكارم الأخلاق
العربية والإسلامية

(٣١)

الشفاعة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك

دار رواح للنشر والتوزيع

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٨-٢١٦-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٣١)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٨-٢١٦-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٣١)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
الشفاعة لغةً	٧
الشفاعة اصطلاحًا	١١
أهمية الشفاعة	١٧
فوائد الشفاعة	٢٧
ضروب الشفاعة	٣٥
شروط الشفاعة وآدابها	٤١
دوافع الشفاعة	٥٩
وسائل الاستشفاع	٦٦
تأصيل الشفاعة الحسنة	٧٨
الفهارس	٨٣

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فإذا رُزقت خليقةً محمودة ... فقد اصطفاك مُقسّم الأرزاق

فالناس هذا حظه مال وذا ... علمٌ وذاك مكارمُ الأخلاق

حافظ إبراهيم

www.mtenback.com

توطئة

الشفاعة خلق عربي أصيل، تخلق به أجدادنا العرب في جاهليتهم، وأولوه محلاً رفيعًا في سلم القيم ومكارم الأخلاق، وحضّ عليه الإسلام ورتب على من يشفع شفاعة حسنة أجرًا وثوابًا.

وذلك أن الشفاعة ضرورة اجتماعية، فهي الوسيط الذي لابدّ منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، فيتماسك نسيج المجتمع تماسكًا متينًا، فتكون لحمته العطف والرحمة، وسداه التآزر والتعاون، وحاشيته المحبة والتوادّ، والاحترام والتقدير.

وفي غياب هذه القيمة الخلقية الرفيعة وتعطيلها يتفكك المجتمع، ويتصارع الأفراد، فيتناهبون مصالحهم، وتطغى العلاقات المادية والمنافع الشخصية. وتنتشر الرشوة التي تكون البديل عن الشفاعة، فتفسد ضمائر الناس، فالكرامة ضائعة، والحقوق مهضومة، فيتجرع الضعفاء والمقهورون المرارة والأسى، وتضطرم في نفوسهم عوامل الحقد والحسد، والكره والبغضاء.

إن الشفاعة تمثّل المعادل الموضوعي الذي يحافظ على توازن المجتمع واستقراره، فمن له حق مشروع، ولا يستطيع الوصول إليه يجد إلى جانبه من له وجاهة في المجتمع فيشفع له عند من بيده إعطاء ذلك الحق، فيحصل عليه. والذي يشعر بظلم ولا يقوى على دفعه بنفسه، يلجأ إلى أحد أعيان المجتمع، فلا يتوانى في الشفاعة له عند من له القدرة على إزالة ظلامته، فينتشله من براثن القهر والضياع. وبذلك تكون الشفاعة رحمة وأمانًا، يشعر في ظلها الجميع بالعدل والمحبة والتعاطف.

لقد تناولت كتب التراث بمختلف أصنافها موضوع الشفاعة وعدّتها من مكارم الأخلاق، وفضائل الشمائل العربية، وبيّنت دوافعها، وأظهرت فوائدها، وكانت تطلق عليها أحيانًا «قضاء الحوائج».

www.mtenback.com

وملئت تلك الكتب بقصص وأخبار أولئك الشفعاء الذين كانوا ينهضون بقضاء حوائج الناس ويطربون لها.

ويحاول هذا البحث أن يبرز هذه القيمة الخلقية ويجلّي فوائدها، ويكشف عن منافعها، ويحببها في النفوس، ويحببها إلى الناشئة، لتكون ظاهرة اجتماعية سائدة، يتفيّأ الجميع ظلالها.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الشفاعة لغة:

يُرَدُّ جذر «ش ف ع» إلى أصل واحد هو: إضافة شيء إلى شيء آخر، يقول أحمد بن فارس في مقاييسه[1]: «الشين والفاء والعين، أصل صحيح، يدل على مقارنة الشيئين، من ذلك الشَّفْعُ خلاف الوَتر». ويقول الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن[2]: «الشفع ضم شيء إلى مثله». وجاء في متن اللغة[3]: «شَفَعَ - شَفْعًا - الوَتر: ضم إليه آخر، فصار زوجًا».

وقال ابن منظور في اللسان[4]: «الشفع خلاف الوتر، وهو الزوج، تقول كان وترًا فَشَفَعْتُه شَفْعًا، وشَفَعَ الوترَ من العدد شَفْعًا صيره زوجًا» ومثل ذلك ما جاء في أساس البلاغة[5]: «وكان وَترًا فشفعته بآخر» ومن هنا قيل للناقة التي يتبعها ولدٌ شافع، جاء في اللسان[6]: «وناقة شافع: في بطنها ولد، أو يتبعها ولد يَشْفَعُها، وقيل: في بطنها ولد، ويتبعها آخر».

قال الشاعر[7]:

وشافِعٌ في بَطْنِها لَها وَلَدْ ... وَمَعَها مِنْ خَلْفِها لها وَلَدْ

(1) أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، (١٣٦٨هـ) ج٣، ص٢٠١.

(2) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ص٤٥٧.

(3) أحمد رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (١٣٧٨هـ/١٩٥٩م)، ج٨، ص٣٤١.

(4) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (شفع) ج٣، ص١٨٣.

(5) الزمخشري، محمود بن عمر: أساس البلاغة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، (١٩٨٥م) ج١، ص٤٩٧.

(6) ابن منظور: لسان العرب، (شفع)، ج٨، ص١٨٣.

(7) ابن منظور: لسان العرب، (شفع)، ج٨، ص١٣٨.

www.mtenback.com

وقال الآخر[8]:

وما كانَ في البَطْنِ طَلاها شَافِعٌ وَمَعَها لَها وَلِيدٌ تابِعُ

ومثل ذلك أيضًا يقال للشاة، قال ابن فارس[9]: «والشاة الشافع التي معها ولدها». وسميت شافعًا لأن ولدها شفعها، وشفعته هي، فصارا شفعًا[10].

ومن هذا أيضًا قولهم: ناقة شَفُوع، قال ابن فارس[11]: «ومن الباب ناقة شفوع: وهي التي تجمع بين محلبين في حَلْبَة واحدة» ومن هذا الباب أيضًا قولهم[12]: «وشفعت المرأة شَفْعًا وشِفعًا: كان في بطنها ولدٌ، ويتبعها ولد».

ومنه أيضًا الشَّفَائع[13] وهي ألوان الرعي ينبت اثنين اثنين قال الشاعر[14]:

إذا حَضَرتْ عنه تَمَشَّتْ مَخَاضُها إلى الشّرّ يَدْعُوها إليه الشَّفائِعُ

ومن هذا المعنى قولهم[15] : عين شافعة، وهي التي ترى الشيء اثنين. ومنه قيل: شُفِعَتْ لي الأشباح، جاء في متن اللغة[16]: «شُفِعَتْ لي الأشباح: رأيت الشخص شخصين لانتشار بصري ولضعفه».

[8] ابن منظور: لسان العرب، (شفع)، ج٨، ص١٣٨.

[9] ابن فارس: مقاييس اللغة، ج٣، ص٢٠١.

[10] ابن منظور: لسان العرب، (شفع)، ج٨، ص١٣٨.

[11] ابن فارس: مقاييس اللغة، ج٣، ص٢٠١.

[12] أحمد رضا: متن اللغة، ج٣، ص٣٤١.

[13] انظر محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ج١٣، ص٢٨٥، (شفع).

[14] هو قيس بن العَيْزارة الهذليّ، انظر أبا سعيد السُكَّري: شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار فرّاج، مراجعة: محمود شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، مصر، ج٢، ص٥٩٤.

[15] أحمد رضا: متن اللغة، ج٣، ص٣٤٢.

[16] أحمد رضا: متن اللغة، ج٣، ص٣٤٢.

www.mtenback.com

وأنشد ابن منظور في اللسان(١٧):

ما كَانَ أَبْصَرَنِي بِغِرَّاتِ الصِّبا فالآنَ قَدْ شُفِعَتْ لِي الأَشْبَاحُ

وعلق عليه بقوله(١٨): «معناه أنه يحسب الشخص اثنين لضعف بصره».

والشافع التَيْس، قال الزبيدي في التاج(١٩): «والشافع التيس بعينه، أو هو من الضّأن كالتيس من المعزى، أو هو الذي إذا أَلْقَحَ، أَلْقَح شفعًا لا وِتْرًا».

والشفع في قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾(٢٠) فُسِّر على أوجه كثيرة من أشهرها ما قاله الراغب الأصفهاني(٢١): «قيل: الشفع: المخلوقات من حيث إنّها مركّبات، كما قال: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾(٢٢).

والوتر هو الله من حيث إن له الوحدة من كل وجه. وقيل: الشفع: يوم النحر، من حيث إن له نظيرًا يليه، والوتر يوم عرفه، وقيل: الشفع ولد آدم، والوتر: آدم، لأنه لا عن والد».

ومن هذا الأصل اللغوي اشتقت «الشفاعة» جاء في فتح البيان(٢٣): «أصل الشفاعة من الشَّفْع وهو الزوج».

وذلك أن الشفيع ينضم إلى طالب الشفاعة، فيصيران زوجًا.

---

(١٧) ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص١٨٣، (شفع).

(١٨) ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص١٨٣.

(١٩) الزبيدي: التاج، ج٢١، ص٢٨٥.

(٢٠) سورة الفجر: ٣.

(٢١) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٥٧.

(٢٢) سورة الذاريات: ٤٩.

(٢٣) صديق بن حسن القِنوجي البخاري: فتح البيان في مقاصد القرآن، قدّم له عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (دار إحياء التراث الإسلامي، قطر) ج٣، ص١٩٠.

www.mtenback.com

والشُّفْعَةُ أيضًا من هذا الباب، وهي أولوية الشريك أو الجار في التملك. قال الراغب[٢٤]: «والشفعة: هي طلب مبيع في شركته بما بيع به ليضمه إلى ملكه وهي من الشفع».

وجاء في التاج[٢٥]: «وقال القُتَيْبِيُّ – في تفسير الشُّفْعَة – كان الرجل في الجاهلية إذا أراد بيع منزل، أتاه رجلٌ فشفع إليه فيما باع، فَشَفَّعهُ، وجعله أولى بالمبيع ممن بَعُد سببُه، فسميت شُفْعَة، وسمي طالبها شفيعًا» ثم قال[٢٦]: «والشَّفْعَةُ عند الفقهاء: حق تملك الشِّقْصِ[٢٧] على شريكه المتجدد ملكه قهرًا بعوض».

وبيّن صاحب اللسان اشتقاق الشفعة، فقال[٢٨]: والشُّفْعة والشُّفُعَة في الدار والأرض: القضاء بها لصاحبها، وسئل أبو العباس عن اشتقاق الشفعة في اللغة، فقال: الشفعة الزيادة، وهو أن يشفعك فيما تطلب، حتى تضمه إلى ما عندك، فتزيد وتشفعه بها، أي أن تزيده بها، أي أنّه كان وترًا واحدًا، فضم إليه ما زاده وشفعه به».

ثم قال[٢٩]: «وهي مشتقة من الزيادة لأن الشفيع يضم المبيع إلى ملكه فيشفعه به كأنه كان واحداً وترًا فصار زوجًا شفعًا».

---

[٢٤] الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٥٨.

[٢٥] الزبيدي: التاج، ج٢١، ص٢٨٣.

[٢٦] الزبيدي: التاج، ج٢١، ص٢٨٣.

[٢٧] الشقص: السهم والنصيب، انظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٨٠٢، (شقص).

[٢٨] ابن منظور: اللسان، ج٨، ص١٨٤.

[٢٩] ابن منظور: اللسان، ج٨، ص١٨٤.

www.mtenback.com

الشفاعة اصطلاحًا:

إن مصطلح الشفاعة قريب كلَّ القرب من معناها اللغوي، فهي تعني أن ينضم شخص إلى شخص آخر، فينهض بقضاء حاجته، قال الراغب الأصفهاني[٣٠]: «والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصرًا له، وسائلاً عنه».

وجاء في فتح البيان[٣١]: «فالشفاعة ضم غيرك إلى جاهك، ووسيلتك، فهي على التحقيق إظهارٌ لمنزلة الشفيع عند المُشَفّع، وإيصال منفعة إلى المشفوع له» وفي مقاييس اللغة[٣٢]: «وشفع فلان لفلان إذا جاء ثانيهُ ملتمسًا مطلبه، ومعينًا له».

والشفاعة هي ما يتوسل به، جاء في تاج العروس[٣٣]: «قال ابن القطّاع: الشفاعة المطالبة بوسيلة أو ذِمام».

وتعني أيضًا التماس العفو والغفران عن الأخطاء، جاء في متن اللغة[٣٤]: «الشفاعة، السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم».

مما سبق نستخلص أن للشفاعة منحيين أو اتجاهين: الأول منهما: «أن يكون لإنسان ما حاجة عند آخر ولا يستطيع الحصول عليها، أو الوصول إليها، فيستعين بآخر فيشفع له، حتى يحصل على حاجته، ويحقق مبتغاه.

أما الثاني، فهو أن يكون أحدهم قد اقترف ذنبًا، أو خطأ ما، فيلجأ إلى من يكلم له الطرف الذي حصل الخطأ في حقه، فيلتمس منه العفو والصفح عن المذنب.

---

[٣٠] الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٥٧.

[٣١] صديق بن حسن البخاري: فتح البيان في مقاصد القرآن، ج٣، ص١٩٠.

[٣٢] ابن فارس: مقاييس اللغة، ج٣، ص٢٠١.

[٣٣] الزبيدي: تاج العروس، ج٢١، ص٢٨٧.

[٣٤] أحمد رضا، متن اللغة، ص٣٤٢.

www.mtenback.com

وغالبًا ما يكون الشفيع ذا منزلة وجاه، ومكانة مرموقة، قال الراغب الأصفهاني[٣٥]: «وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة، إلى من هو أدنى».

كما أن العادة جرت بأن يطلب الإنسان الشفاعة من ذوي الشرف والجاه، والمكانة الرفيعة، قال الأعشى[٣٦]:

واسْتَشْفَعَتْ من سَرَاة الحيّ ذا شَرَفٍ فَقَدْ عَصَاهَا أَبُوها والـذي شَـفَعا

والشفاعة هي كلام الشفيع، جاء في اللسان[٣٧]: «والشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره».

والشفيع هو الذي يلجأ إليه صاحب الشفاعة، ويقال له أيضًا: الشَّافِعُ، والجمع: شُفَعاءُ[٣٨]. قال ابن منظور[٣٩]: والشافع: الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب، يقال: تَشَفَّعْتُ بفلان إلى فلان، فَشَفَّعَني به، واسم الطالب شَفِيعٌ».

ويقال[٤٠]: اسْتَشْفَعْتُ إلى فلان أي سألته أن يشفع لي إليه، وتَشَفَّعْتُ إليه في فلان، فَشَفَّعني فيه تشفيعًا» قال حاتم الطائي[٤١]:

فَكَكْتَ عَدِيًّا كلَّهـا مـن إِسَـارِها فَأَفْضِلْ وَشَفِّعْني بِقَيْسِ بـن جَحْـدَرِ

---

[٣٥] الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٥٧-٤٥٨.

[٣٦] ديوان الأعشى الكبير، شرح محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، مصر، ص١٠١.

[٣٧] ابن منظور: اللسان، ج٨، ص١٨٤.

[٣٨] المصدر السابق نفسه.

[٣٩] المصدر السابق نفسه.

[٤٠] المصدر السابق نفسه.

[٤١] حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، جمع فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، لبنان، ص٨٩.

www.mtenback.com

وقال آخر[٤٢]:

مَضَى زَمنٌ والنَّاسُ يَسْتَشْفِعُون بِــــي   فَهَلْ لِي إلى لَيْلَــى الغَــداةَ شَــفِيعُ

والمُشَفَّعُ[٤٣]: الذي تقبل شفاعتُه، ومنه قول الرسول ﷺ[٤٤]: «القرآن شـــافِعٌ مُشَفَّعٌ».

والمُشَفَّعُ[٤٥]: الذي يقبل الشفاعة، ويلبي طلب الشافع، وتَشفَّعَ إليه في فـــلان: طلب الشفاعة، وتَشَفَّعه أيضًا: مطاوع استَشْفَع به[٤٦]. وشَفَّعْتُه فيه تَشْـــفِيعًا، حـــين شفع، شفاعة، أي قَبِلْتُ شفاعته[٤٧].

مما سبق نجدُّ أن أصل الشفاعة هو المعاونة والمساعدة في الخير. إلاَّ أنها تُستخدم أحيانًا في المساعدة في الشر، وذلك على سبيل المجاز جاء في أساس البلاغــة[٤٨]: «ومــن المجاز: فلان يعاديني، وله شافع، أي معين، يعينه على عداوتي، كمـــا يعـــين الشـــافع المشفوع له» وفي اللسان[٤٩]: «وتقول: إن فلانًا لَيشفَعُ لي بعداوة، أي يضادني».

وعلى هذا المعنى جاء قول النابغة الذبياني يعتذر إلى النعمان مما وشت به بنـــو قُرَيع[٥٠]:

---

[٤٢] انظر الزمخشري: أساس البلاغة، ج١، ص٤٩٧.

[٤٣] أحمد رضا: متن اللغة، ص٣٤٢.

[٤٤] انظر المنذري زكي عبد العظيم بن عبد القوي: الترغيب والترهيب، علق عليه مصطفى محمد عمارة، دار الحديث، القاهرة، مصر، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ج٢، ص٣٤٩.

[٤٥] الزبيدي: تاج العروس، ج٢١، ص٢٨٥.

[٤٦] المصدر السابق نفسه.

[٤٧] المصدر السابق نفسه.

[٤٨] الزمخشري: أساس البلاغة ج١، ص٤٩٧.

[٤٩] ابن منظور: اللسان، (شفع) ج٨، ص١٨٤.

[٥٠] النابغة الذبياني: ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر ص٣٥.

www.mtenback.com

أَتَـاكَ امْـرؤٌ مُسْـتَبْطِنٌ لي بِغْضَـةً له من عَـدُوٍّ مِثْـلُ ذلـك شَـافِعُ

ومثل ذلك قول الأحوص[٥١]:

كَـأَنَّ مَـنْ لامَنِـي لأَصْرِمَهـا كَـانُوا عَلَيْنَـا بلَوْمِهـمِ شَـفَعُوا

ووجّه الزبيدي قول الأحوص توجيهًا أخرجه من معنى المعاونة في الشرّ، وردّه إلى معنى الشفاعة في الأصل، أي المعاونة في الخير، فقال[٥٢]: «ويقال: إنّ حثّهم إياي على صرمها، ولومهم إياي في مواصلتها: زادها في قلبي حبًا، فكأنهم شفعوا لها، من الشفاعة».

ومثل ذلك قال ابن منظور في اللسان: «إذ علق على البيت بقوله[٥٣]: معناه أنّهم كانوا أغروني بها حين لا موني في هواها، وهو كقوله[٥٤]: «إن اللوم إغراءُ».

وتوجيه مجيء الشفّاعة في معنى المعاونة في الشر، أنّ الشفاعة في أصل اللغة أن ينضم شيء إلى شيء آخر سواء أكان ذلك في الخير أم في الشر، وعلى هذا الأصل جاء قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾[٥٥].

---

[٥١] الأحوص الأنصاري: شعر الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق: السامرّائي، مكتبة الأندلس، بغداد، العراق، (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ص١٢٥.

[٥٢] الزبيدي: التاج، (شفع)، ج٨، ص١٨٤.

[٥٣] ابن منظور: اللسان، (شفع).

[٥٤] إشارة إلى قول أبي نواس:

دع عنك لومي فإن اللـوم إغـراء وداوني بالتي كـانت هـي الـداءُ

انظر ديوان أبي نواس، دار صادر، بيروت، لبنان، (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) ص٧.

[٥٥] سورة النساء: ٨٥.

www.mtenback.com

ويوضح الفيروز آبادي معنى الشفاعة هنا، في قوله[٥٦]: «أي من انضم إلى غيره وعاونه، وصار شَفْعًا له، أو شفيعًا في فعل الخير، أو الشرّ، وقواه، شاركه في نفعه وضَرّه. وقيل الشفاعة ههنا: أن يشرع الإنسان لآخر، طريق خير أو طريق شرّ، فيقتدي به، فصار كأنه شَفْعٌ له» وذلك كقول الرسول ﷺ[٥٧]: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها... ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها...»[٥٨].

والشفاعة في معنى المساعدة في الشرّ، إنما هي في الحقيقة من باب المشاكلة والموافقة في اللفظ، إذ إن الشفاعة اختصت في معنى الخير، جاء في فتح البيان[٥٩]: «الظاهر أن إطلاق الشفاعة، هنا من قبيل المشاكلة؛ لأن حقيقتها اللغوية، تقتضي أنها لا تكون إلا في الخير».

ولهذا فإن المرء عندما تقرع سمعه لفظة الشفاعة، فإن ذهنه لا ينصرف إلاّ إلى الشفاعة الحسنة التي تكون في فعل الخير، لأن الشفاعة اقتصرت على هذا المعنى لا غير.

وفي الفقه اختصت الشفاعة بما خص الله تعالى بعض عباده من الأنبياء والصالحين، بالشفاعة لبعض عباده يوم القيامة، والأدلة على ذلك كثيرة متنوعة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، فلرسولنا محمد عليه الصلاة والسلام شفاعتان: عامة، وخاصة. فالعامة هي الشفاعة العظمى لخلاص جميع أهل المحشر من أهواله، وقد خُصَّ بها عليه السلام دون غيره، وقد وردت أحاديث صحيحة في هذا الشأن، منها ما رواه

---

[٥٦] مجد الدين الفيروزآبادي، بصائر التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط٢، ج٣، ص٣٢٩.

[٥٧] محيي الدين النووي: رياض الصالحين، تحقيق جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص١١٩.

[٥٨] صحيح مسلم، كتاب الزكاة، حديث رقم: ١٠١٧، ج١، ص٧٠٥.

[٥٩] صديق بن حسن البخاري: فتح البيان في مقاصد القرآن، ج٣، ص١٩١.

www.mtenback.com

البخاري[٦٠] عن أنس أن الرسول عليه السلام، قال: «كلُّ نبيّ سأل سؤالاً، أو قال: لكل نبيّ دعوة قد دعا بها فَاستُجيب له، فَجَعَلْتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة».

ومنها كذلك حديث رواه أيضًا البخاري مطولاً، وفيه تفصيل لهذا الموضوع[٦١].

أمَّا الشفاعة الثانية، فهي الشفاعة لبعض المذنبين وإخراجهم من النار، وهذه الشفاعة يشترك فيها رسولنا محمد والأنبياء كافة، عليهم جميعًا أفضل الصلوات وأزكاها، وكذلك يشترك فيها العلماء والصالحون. والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[٦٢]، وقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾[٦٣]، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[٦٤]، وثمة آيات كريمة أخرى في هذا الموضوع[٦٥].

والحديث عن الشفاعة بهذا المفهوم مفصل في كتب الفقه، وكتب الحديث الشريف، وهناك بعض الكتب التي أفردت لهذا الموضوع[٦٦].

---

[٦٠] أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) رقم ٦٣٠٤، ص١٢١٣.

[٦١] صحيح البخاري، رقم ٧٥١٠، ص١٤٣١.

[٦٢] سورة البقرة: ٢٥٥.

[٦٣] سورة يونس: ٣.

[٦٤] سورة طه: ١٠٩.

[٦٥] انظر مثلاً: الأنبياء: ٢٨، وسبأ: ٢٣، والزخرف: ٨٦.

[٦٦] منها مثلاً: الشفاعة لمن تكون: لعكاشة عبد المنّان الطيبي، الناشرون العرب، الرياض، المملكة العربية السعودية.و الشفاعة: لأبي عبد الرحمن مقبل هادي الوادعي، دار الأرقم، الكويت، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

www.mtenback.com

وليست الشفاعة بهذا المعنى من شرطنا في هذا البحث، وإنّما سيكون الحديث عن الشفاعة الدنيوية.

ولا يفوتنا قبل أن نغادر دلالة الشفاعة، ومعناها، أن نلفت النظر إلى أنّه أصبح في عصرنا هذا يعبر عن مضمون الشفاعة ودلالتها بلفظ آخر، هو «الوساطة»، أو «الواسطة»، وتوارت خلف هذين اللفظين كلمة الشفاعة، التي لم تعد تقرع سمعنا إلاّ لماماً، في حين شاعت كلمة الوساطة أو الواسطة، ويقصد بها الشفاعة، وإن شابها أحياناً ما يشير إلى الظلم، وإكساب حق لغير صاحبه أو ما أشبه ذلك. بينما الشفاعة مبرأة تماماً من مثل ذلك.

أهمية الشفاعة:

الإنسان اجتماعي بالطبع، لا يمكن له أن يعيش حياته، ويمارس نشاطه إلاّ أن يكون في مجتمع بشري، وأيّ مجتمع إنسانيّ، لا يقوم إلاّ على تعاون أفراده، وتآزرهم، ولا يمكن لهؤلاء الأفراد أن يعيشوا بسعادة واطمئنان ما لم تقم بينهم روابط متينة من التراحم والتعاطف، وتشدهم وشائج من المحبة والتسامح، وتتوثق بينهم أواصر التعاضد والتناصر، فيقوم القوي بنصرة الضعيف، ويتكفل الغني بمساعدة الفقير، وينهض ذوو الشرف والجاه، بقضاء حوائج المحتاجين ممن لا يصلون إلى مبتغاهم إلا بوسيلة أو ذريعة. فيكون هذا المجتمع كالجسد كما وصفه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله[٦٧]: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى».

ويكون حال أبناء المجتمع كما قال عليه الصلاة والسلام[٦٨]: «كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً».

---

[٦٧] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ط٤، ج٢، ص١٥٥.

[٦٨] البخاري: صحيح البخاري، ص٤٦١.

www.mtenback.com

وبهذا تتضح لنا أهمية مكارم الأخلاق في بناء المجتمعات ورقيها وسيادتها، فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، لأنه بدونها تتفكك روابطه، وتنحل عراه، ويحل محل الوئامِ الخصام والتنافر، والتصارع والتناحر، مما ينذر بالانهيار ثم الدمار، ويأتي في مقدمة تلك القيم ومكارم الأخلاق، الشفاعة، لأن لها دورًا فعالاً، وأهمية كبرى، في تآلف المجتمع، وتعاضده، وتماسكه، والقضاء على عوامل التباغض والتحاسد بين أفراده.

ولنا أن نتصور كيف يكون شأن المجتمع حين تشعر فئة منه بالعزلة والذل والهوان، وهم يعانون حياة القلق والخوف والحرمان.

لا شك أن هذا المجتمع ينذر بالدمار والهلاك في كلِّ آونة وحين، لأن عوامل الفساد والخراب تنخر فيه، فهي كالنار تحت الرماد تتحين الفرص لتشب سعيرًا تحرق الأخضر واليابس، أو تكون كالبركان الذي تضطرم في جوفه الحمم منذرة بالانفجار في كل لحظة لتدمر ما حولها.

ولنا أيضًا أن نتصور كيف تتبدل الحال، لو أن بعضًا من أفراد المجتمع ممن أعطاهم الله جاهًا. وأسبغ عليهم عزًا وشرفًا، وحباهم مكانة رفيعة في مجتمعهم، فكان لهم شأن مرموق عند ذوي السلطان. أقول: كيف تتبدل الحال لو أن أمثال هؤلاء نهضوا بحوائج أولئك الضعفاء والمظلومين، وتكفلوا بها، فلابدّ عندئذ أن يشعر الجميع بالأمان والألفة، والتعاون فيكون المجتمع مجتمعًا متماسكًا قويًا، لا تضيع فيه الحقوق، ولا يهان فيه الضعيف، ولا يضيع فيه العاجز.

والشفاعة قيمة خلقية متأصلة في نفس العربي منذ القدم، فقد كان عرب الجاهلية يحلونها محلاً رفيعًا في سلم القيم والأخلاق، فكان ذوو الجاه والشرف يرون أن من أهم واجباتهم النهوض بقضاء حوائج المحتاجين، والشفاعة لهم عند أصحاب الأمر من الملوك والأمراء والزعماء، وأكثر ما يكون ذلك في فك الأسارى وتخليصهم من

www.mtenback.com

معاناة الأسر، جاء في ربيع الأبرار[٦٩]: «أسرت غطفان أخًا لسعد بن حيان التميمي، فاستشفع بعمرو بن معد يكرب إلى سنان بن أبي حارثة، فَأُطْلق فقال:

مَشيْتُ بعَمْرٍو فارسِ القَوْمِ مَذْحِجٍ ... إلى رَأْسِ هَذا الحَيِّ من غَطَفانِ

يَمَانٍ نَمَاهُ خَيْرُ مَذْحِج والِدًا ... ووالِدَةً إنَّ الكَرِيمَ يَماني

لقد كان شكر هذا الصنيع بمثل هذا الثناء الشعري عليه وعلى والديه اللذين حازا صفة الكرم، بل لقد جعل الكرم كله في أصول شفيعه عمرو بن معد يكرب.

ومن ذلك أن الحارث بن أبي شمرٍ، أسر رجالاً من بني أسد وبني فزارة، فركب إليه النابغة الذبياني فكلمه في الأسرى، فشفّعه فيهم وأعطاه إياهم.

فَدَبَّجَ النابغة قصيدة رائعة يعتذر فيها من صنيع قومه، ويمدح النعمان بن الحارث، فقال[٧٠]:

إنّي كَأَنّي لَدَى النُّعْمَانَ خَبَّرَه ... بَعْضُ الأَوِدِّ حَدِيثًا غَيْرَ مَكْذُوبِ

بأنّ حِصنًا، وحَيًّا من بَنِي أَسَد ... قامُوا، فَقَالُوا: حِمانا غيرُ مَقْرُوبِ

ضَلَّتْ حُلُومُهُمُ عنهم وَغَرَّهُمُ ... سَنُّ المُعَيْدِي في رَعْيٍ وتَغْرِيبِ

ثم يمدح النعمان قائلاً:

قادَ الجِيادَ مِنَ الجَوْلانِ قائِظَةً ... من بين مُنْعَلَةٍ تُزْجَى وَمَجْنُوبِ

حتى اسْتَغَاثَتْ بِأَهْلِ المِلْحِ ما طَعِمَتْ ... في مَنْزِلٍ طَعْمَ نَوْمٍ غيرَ تَأْوِيبِ

وروى أبو الفرج الأصفهاني[٧١] أن طيئًا أغارت على إبل للنعمان بن الحارث الجَفْنِي، وقتلوا ابنًا له، فغضب الحارث، وخرج يريد طيئًا، فأصاب من بني عدي بن

---

[٦٩] محمود بن عمر الزمخشري: ربيع الأبرار، ونصوص الأخبار، تحقيق: سليم النعيمي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث، بغداد، العراق، ج٢، ص٥٠٤.

[٧٠] ديوان النابغة، ص٤٩-٥٠.

[٧١] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج١٧، ص٢٨٨.

www.mtenback.com

أخزم سبعين رجلاً، رأسهم وَهْمُ بن عمرو من رهط حاتم الطائي. وكان حاتم يومئذ في الحيرة، فلما قدم على قومه، جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها، فتقول: يا حاتم أسر أبو هذا.

فلم يلبث إلاّ ليلة حتى سار إلى النعمان، ومعه ملحان بن حارثة، فدخل على النعمان فأنشده، فأعجب به، واستوهبهم منه، فوهب له بني امرئ القيس بن عديّ، ثم أنزله فأتي بالطعام، فقال له ملحان: أتأكل، وقومك في الأغلال؟ قم إليه، فسله إياهم، فدخل عليه فأنشده[٧٢]:

إنَّ امْرأَ القَيْسِ أضْحَتْ مِنْ صَنِيعَتِكُمْ ... وعَبْدَ شَمسٍ، أَبَيْتَ اللعْنَ، فاصْطَنِعِ

فأطلق له بني عبد شمس بن عدي، وبقي قيس بن جَحْدر بن ثعلبة فقال له النعمان: أفبقي أحد من أصحابك، فقال حاتم[٧٣]:

فَكَكْتَ عَدِيًا كُلَّهَا مِن إِسَارِها ... فَأَفْضِلْ وشَفِّعْنِي بِقَيْسِ بنِ جَحْدرِ

أَبُوهُ أَبِي، وَالأُمَّهَاتُ أُمَّهَاتُنَا ... فأَنْعِمْ فَدَتْكَ النَّفْسُ، قَومِي ومَعْشَرِي

فقال له النعمان: هو لك، وأطلق سراحه.

ولَمّا أشرقت شمس الإسلام على دنيا العرب، جعل منهم مجتمعًا متحضرًا، يقوم على أسس ثابتة من أصول العقيدة الغرّاء، ويرتكز على دعائم متينة من القيم السامية، والأخلاق الفاضلة، التي أولاها الإسلام عناية خاصة، واهتمامًا بالغًا، فحضّ على التحلي بها، والتخلق بآدابها. وكانت الشفاعة الحسنة وما زالت من القيم التي أعلى الإسلام من شأنها فحضّ عليها، ورتّب على من يقوم بها أجرًا، وثوابًا عظيمين - وهذا ما سنراه مفصلاً فيما بعد - وذلك لما لها من أهمية بالغة في توازن المجتمعات وحفظ استقرارها، وبث روح الألفة والطمأنينة والتعاون بين أفراد المجتمع، والقضاء

---

[٧٢] ديوان حاتم: ص٩٩.

[٧٣] ديوان حاتم: ص٨٩.

www.mtenback.com

على روح التباغض والتحاسد، من أجل هذا كله، جعل بعضهم السعي في قضاء حوائج الناس، والشفاعة لهم تعادل زكاة المال؛ ذلك لأنّه كما تلبي الزكاة حاجة الفقراء والمساكين، فإنّ الشفاعة تلبي حاجة المقهورين والمظلومين والضعفاء، فكان يقال[٧٤]: «بذل الجاه زكاة الشرف».

وقد يكون بذل الجاه أكثر نفعًا من بذل المال؛ لأن هناك كثيرين ممن يستطيعون تقديم المساعدة المالية والعون المادي، ومن السهل على الإنسان أن يطلب مثل هذه المساعدة، وأن يجد من يمدّ له يد العون من مال وما أشبه ذلك، أما بذل الجاه، فلا يستطيع أن ينهض به إلاّ فئة معينة حباها الله عزًّا وجاهًا، وليس بالإمكان الوصول إليهم دائمًا. يقول الماوردي في أدب الدنيا والدين[٧٥]: «فأما الإسعاف بالجاه، فقد يكون من الأعلى قدرًا، والأنفذ أمرًا، وهو أرخص المكارم يمنًا، وألطف الصنائع مَوْقفًا، وربما كان أعظم من المال نفعًا، وهو الظل الذي يلجأ إليه المضطرون، والحمى الذي يأوي إليه الخائفون، فإن أوطأه اتسع بكثرة الأنصار والشيع، وإن قبضه انقطع بنفور الغاشية والتبّع، فهو بالبذل ينمي ويزيد، وبالكف ينقص ويبيد».

فكما يؤدي الغنيُّ زكاة أمواله، فعلى ذوي الجاه والشرف تأدية زكاة شرفهم، وهذه قد تفوق منافعها ونتائجها ما يترتب على دفع المال من منافع. قال الثعالبي[٧٦]: «الشفاعات زكوات المروءات» وأنشد[٧٧]:

---

[٧٤] عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، شرحه وعلق عليه يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٣، ص١٩٩.

[٧٥] أبو الحسن علي بن محمد الماوردي: أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ص٢٥١.

[٧٦] أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ص٤٢٤.

[٧٧] الثعالبي: التمثيل والمحاضرة، ص٤٢٤.

www.mtenback.com

وَإِذَا امْرُؤٌ أَسْـــدَى إِلَيْـــكَ صَنِيعَـــةً مِـــنْ جَاهِـــهِ فَكَأَنَّهـــا مِـــنْ مالِـــهِ

ومثل ذلك كان البحتري يرى أن من يسعى في تحصيل منفعة لإنســـان، كأنـــه أعطاه إياها من ماله الخالص، إذ يقول[٧٨]:

وعَطَـــاءُ غَـــيْرِكَ إِنْ بَذَلْـــ تَ عِنايـــةً فيـــه، عَطـــاؤكْ

ولهذا دعا الحكماء والمفكرون إلى بذل الجاه، فقالوا[٧٩]: «بـــذل الجـــاه أحـــد الحِباءَين».

وقال الثعالبي[٨٠]: «بذل الجاه أحد المالين» ولذلك عدّوا البخل بالجاه أشنع من البخل بالمال يقول الماوردي[٨١]: «فلا عذر لمن مُنح جاهًا أن يبخل به، فيكون أسَـــوْأ حالاً من البخيل بماله الذي يُعِدُّه لنوائبه، ويستبقيه للذاته، ويكنزه لذريته، وبضد ذلك من بخل بجاهه، لأنه قد أضاعه بالشحّ، وبدده بالبخل وحرم نفسه غنيمـــة مُكْنَتِـــه وفرصـــة قدرته، فلم يعقبه إلاّ ندمًا على فائت، وأسفًا على ضائع، ومقتًا يستحكم في النفـــوس، وذمًا قد ينتشر في الناس».

ولهذا كلّه، كان بعضهم يتخذ من هذه الأقوال وتلك المعاني وســـيلة وذريعـــة للشفيع، من ذلك أنّ العَتّابي التمس الإذن على المأمون، فتعذر ذلك عليه، فأقبل يحيـــى ابن أكثم، فلما رآه العتّابي قام إليه: فقال[٨٢]: «أيها الشيخ، اذكرني عند أمير المؤمنين، قال: لست بحاجب، قال: قد علمت، ولكنك ذو فضل، وذو الفضل مِعْوانٌ على كـــل

---

[٧٨] البحتري: ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ج١، ص٣٨.

[٧٩] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٥١. والحِباء هو: العطاء بلا جزاء ولا منّ. ومعنى هذا القـــول: أن بذل الجاه يكون قسيمًا لبذل المال، اللسان، (حبا).

[٨٠] الثعالبي: التمثيل والمحاضرة، ص٤٢٤.

[٨١] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٥١.

[٨٢] انظر محمد بن الحسن بن حمدون: التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صـــادر، بيروت، لبنان، ج٨، ص١٧١-١٧٢.

www.mtenback.com

خير، قال: قد كلفتني غير طريقي، قال: إنّ الله قد أتحفك بجاه ونعمة، وهو مقبل على صاحبها بتعجيل الزيادة إن شكر، والتغيير إن كفر، وأنا لك اليوم خير لك من نفسك، لأني أدعوك إلى زيادة نعمتك وأنت تأبى ذلك، واعلم أنّ لكل شيء زكاة، وأن زكاة الجاه رفد المستعين، فقال له يحيى على رسلك أيها الرجل، ثم دخل على المأمون واستأذن له عليه، فأجازه المأمون وأحسن إليه».

ولما للشفاعة من أثر حميد في حياة الناس، وقضاء حوائجهم، وتفريج كربهم، كان بعضهم يعدُّ بذل الجاه والشفاعة لطالبيها من المستضعفين، ضربًا من عبادات التطوع، بل هذا أفضل من بعضها، فقد روى ابن قتيبة، قال[٨٣]: «حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن سعيد، قال حدثنا ابن المبارك عن حميد عن الحسن، قال: لأن أقضي حاجة لأخ أحبُّ إليَّ من أن أعتكف سنة».

ولا غرابة في ذلك، لأن قضاء حوائج الناس من أفضل القربات إلى الله تعالى، لما فيها من نفع للآخرين، وتفريج لهمومهم، وتقديم العون والمساعدة لهم، والإسلام يحثُّ على هذا ويحضّ عليه، والرسول عليه الصلاة والسلام يوجه المسلمين إلى ذلك، فقد أخرج البخاري عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال[٨٤]: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمُهُ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربًا فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة».

وفي حديث آخر، يقول عليه السلام[٨٥]: «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه». وقال أيضًا[٨٦]: «إن لله خلقًا خلقهم لحوائج الناس، هم الآمنون من عذاب الله».

---

[٨٣] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٩٦.

[٨٤] البخاري، صحيح البخاري، رقم ٢٤٤٢، ص٤٦٠.

[٨٥] النووي، رياض الصالحين، ص١٤٦.

[٨٦] عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، الترغيب والترهيب الحديث الشريف، ضبط أحاديثه مصطفى محمد عمارة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣، ص٣٩٠.

www.mtenback.com

فهذا ثواب عظيم، ومقام كريم، خص به من يسعى في حوائج الناس، فيشفع لهم، لينالوا حقوقهم، أو يدفع عنهم مظلمة أو جوراً لحق بهم. فهل هناك أعظم ثواباً من أن يكون الله في عون المرء! وهل هناك أفضل من أن يكشف الله عنه الغم والضيق والكرب الشديد في يوم الفزع الأكبر والهول الأعظم.

فحقيق على من علم هذا الثواب، وتلك المكافأة، ألاّ يتواني عن السعي في حوائج قاصديه من الضعفاء والمظلومين أو من ذوي الحاجات، وتفريج همومهم، وإدخال السرور إلى قلوبهم، جاء في عيون الأخبار[٨٧]: «قيل لابن المنكدر: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: إدخال السرور على المؤمن». وهذا مستمد من قول الرسول عليه الصلاة والسلام[٨٨]: «إنّ أحبّ الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم»، وأي سرور أعظم من شفاعة تعيد الحق لصاحبه، أو تدفع المضرة عن متضرر، أو تضع الأمور في نصابها بحيث لا ينصرف حق إلى غير صاحبه، أو ينال أحد فضلاً وهو ليس له أهلاً، مع حرمان من هم أهله من ذلك الفضل.

وقد حثّ الحكماء والمفكرون على بذل الجاه، و الشفاعة للمحتاجين، جاء في العقد الفريد[٨٩]: أن جعفر بن محمد قال: «إن الله خلق خلقًا من رحمته برحمته لرحمته، وهم الذين يقضون الحوائج للناس، فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن».

بل دعوا ذوي الجاه إلى المبادرة إلى تقديم العون والمساعدة قبل أن يطلب ذلك منهم، يقول ابن حزم[٩٠]: «وابذل فضل مالك وجاهك لمن سألك، أو لم يسألك، ولكل من احتاج إليك، وأمكنك نفعه، وإن لم يعتمدك بالرغبة».

---

[٨٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٩٥.

[٨٨] المنذري، الترغيب والترهيب، ج٣، ص٣٩٤.

[٨٩] أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، شرحه وضبطه أحمد أمين ورفيقاه، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج١، ص٢٣٥.

[٩٠] أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: كتاب الأخلاق والسير، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، لبنان، (١٩٦١م)، ص٣٨.

www.mtenback.com

ويروى عن الرسول عليه الصلاة والسلام قوله[٩١]: «إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه، كما يسأله عن عمره، فيقول: جعلت لك جاهًا، فهل نصرت به مظلومًا، أو قمعت به ظالمًا، أو أعنت به مكروبًا».

فهذه أعمال جليلة، ومواقف عظيمة، فهل هناك أعظم من نصرة مستضعف مهيض الجناح، وهل هناك أعظم من الوقوف في وجه الظالم، لردعه، وكفّ ظلمه وجوره عن بني البشر، إن هذه الأمور العظيمة لا يستطيع النهوض بها إلا عظماء الرجال ممن أوتوا جاهًا عريضًا، وشرفًا رفيعًا، ويتوقف على مثل هذه الأفعال استقرار المجتمع وسلامته وازدهاره، ولذا يروى عن الرسول عليه السلام قوله[٩٢]: «أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لا جاه له» وفي رواية[٩٣]: «أفضل الصدقة صدقة اللسان، قيل: يا رسول الله وما صدقة اللسان؟ قال: الشفاعة تفك بها الأسير، وتحقن بها الدماء، وتجرُّ بها المعروف إلى أخيك، وتدفع بها كريهة» وفي الأثر[٩٤]: «فضل جاهك تعود به على أخيك صدقة منك عليه، ولسانك تعبر به عن حاجة أخيك صدقة منك عليه».

وأخرج البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ قال[٩٥]: «من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان لمنفعة برٍّ، أو تيسير عسير، أعين على إجازة الصراط يوم دحض الأقدام».

---

[٩١] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ح٨، ص١٦٦؛ وانظر: شهاب الدين النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، مصر ج٣، ص٢٥٧.

[٩٢] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٦٦.

[٩٣] السيوطي: الجامع الصغير، ج١، ص٥٠؛ وانظر شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، (١٣٧١هـ/١٩٥٢م)، ج١، ص١٢٦.

[٩٤] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٩٩.

[٩٥] أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: السنن الكبرى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، (١٣٥٤هـ)، ج٨، ص١٦٨.

www.mtenback.com

ولهذا كله كان أهل المروءة حريصين كلَّ الحرص على النهوض بحوائج النـــاس والسعي في معونتهم، والشفاعة لهم عند ذوي السلطان، فيقيلون عثراتهم، ويجـــبرون كسرهم ويدخلون السرور إلى نفوسهم، فهذا عمرو بن معاوية العقيلي، يقـــول[٩٦]: «اللهم بلغني عثرات الكرام».

والسعي في سبيل قضاء الحاجات ينبغي أن يعم القريب والبعيد ــ وإن كـــان القريب أولى وأحق ــ إلا أنه من الكمال لو بلغ ذلك السعي البعداء، وعندئذ تكـــون المروءة الحق، والأريحية التي تدل على فضل صاحبها ورجاحة عقله، وكـــرم نفســه وطيب معدنه، واستقامة خلقه. يقول جعفر بن محمد بن علي[٩٧]: «إنّي لأســـارع في حاجة عدوي خوفًا من أن أرده فيستغني عني». وليس مرد ذلك هـــو الخـــوف مـــن الاستغناء عنه، بل ما وراء ذلك الاستغناء من مشاعر السخط، في حين لن يعدم صاحبه من أن يجد من يقضي حاجته، فيفوز بالرضا والدعاء وحسن الثناء.

وكان الخلفاء يحضون عمالهم ممن يلي أمور الناس على تقديـــر ذوي الشـــرف والجاه، وإكرامهم، وقبول شفاعاتهم في الضعفاء، فهذا عمر بن الخطاب يكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما[٩٨]: «أنّه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس، فأكرم وجوه الناس، فبحسب المسلم الضعيف أن ينصف في العدل والقسمة».

إن الشفيع المخلص يكون وسيلة لوصول ذي الحاجة إلى حاجته، وســـلمًا إلى ملتمسه، ومسلكًا، وبلاغًا إلى مبتغاه، وما أروع قول علي بن أبي طالب رضـــي الله عنه[٩٩]: «الشفيع جناح الطالب» فهو للضعيف العاجز الذي لا يملك وسيلة للوصـــول

---

[٩٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٩٦.

[٩٧] أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنـــان، (١٤٠٦هـــ/١٩٨٦)، ج٢، ص٦٦٣.

[٩٨] البيهقي، السنن الكبرى، ج٨، ص١٦٨.

[٩٩] أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، سجع الحمام في حكم الإمام، جمع علي الجندي ورفيقيه، مكتبـــة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، (١٩٦٧م)، ص٢١٩.

www.mtenback.com

إلى حاجته، كالجناح للطائر يحلق به إلى ما يسمو ويريد. فيكون ذريعته إلى هدفه، ووسيلته إلى مطلبه، ومثل ذلك قولهم[١٠٠]: «بزند الشفيع تورى نار النجاح».

فوائد الشفاعة:

للشفاعة فوائد جمة، ومنافع كثيرة، يجني ثمارها الفرد والمجتمع على حدٍّ سواء، وذلك أن الفرد في ظلها يشعر بالاطمئنان والأمان، إذ يجد من بين أفراد مجتمعه من يقف إلى جانبه في الشدائد والمحن، فيسعى في قضاء حوائجه، ويوصل صوته إلى من لا يستطيع الوصول إليهم بمفرده، وعندئذ يكون المجتمع متآلفًا متماسكًا، تسوده روح المودة والمحبة والتعاون، وتنتفي روح الكره والبغضاء، والتحاسد والتشاحن.

إن الإنسان الذي يرى حقوقه تهضم، ولا يجد من يناصره، ويساعده، فيوصل أمره إلى المسؤولين لينصفوه، أو الإنسان الذي يهفو هفوة فلا يجد من يقيل عثرته، ويمد له يد العون، سيشعر بالمرارة والحسرة، فيظل غارقًا في لجج الضياع والحيرة والشتات، يتجرع مرارة الذل والهوان والخذلان، ولا يكون أمامه إلاَّ أمران: إما أن ينكفئ على ذاته يَجْتَرُّ آلامه وصغاره وهوانه على الناس، وإما أن يسعى إلى الوصول إلى حقه بطرق ملتوية، وأساليب شاذة كالرشوة وما شابهها، وعندها تنتشر عوامل الشر والفساد، وتصبح العلائق المادية الرخيصة هي السائدة، وتنتفي علائق الكرم والمحبة والتعاون. فعندما ينعدم الشفعاء من ذوي الجاه والمروءة والكرم، أو عندما يرفض المسؤولون شفاعة الشفعاء، ويعطلون هذه القيمة العظيمة، فإن القيم المادية هي التي ستطغى، فتفشو الرشوة التي تنخر بالمجتمع، وتتفكك عرى المودة بين أفراده، وتنتشر طبقة طفيلية تعيش على الرُّشا، ويصور هذه الحالة رؤبة بن العجاج، إذ يقول[١٠١]:

---

[١٠٠] محمود بن عمر الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٢، ص٥٠٠.

[١٠١] الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٢، ص٥٠٠.

www.mtenback.com

لَّمـــا رَأيــتُ الشُّــــفعاءَ بلَّـــدُوا
وَسَـــألُوا أَمِــيرَهمْ فَـــأَنْكَدُوا
نَامَسْـــتُهُمْ برَشَـــوْةٍ فَـــاقْرَدُوا
وَسَـــهَّلَ اللهُ بهـــا مـــا شَـــدَّدوا

وإذا اختلت القيم الفاضلة في المجتمع سادت القيم المادية والنفعية، وأصبح أصحاب الحاجات في يأس من نجاح حوائجهم فسيسقط الضعفاء منهم في رذيلة الرشوة وقد يصيبهم شيء من القناعة بها وممارستها كما وصف أحدهم الرشوة متهكمًا وساخرًا حيث يقول[١٠٢]:

إِذَا تَوَسَّـــلْتَ إلى حَاجَـــةٍ فبالرشـــى فَهْـــيَ رِشَـــاءُ النجَّـــاحِ
ولا تُؤَمِّـــل غيْرَهـــا شَـــافِعًا فَكُلُّ مـــا دُونَ الرشـــى كالرِّيـــاحِ

والشعر وصف لحال الناس دوافع الحياة فحينما لا يجد الناس الكِرام الذين ينهضون بحاجاتهم، يجعلون الدراهم والمادة سبيلاً إلى قضاء مآربهم مثلما نجد في معنى الآبيات الآتية[١٠٣]:

مـــا أَرْسَـــلَ الأَقْـــوامُ في حاجَـــةٍ أَمْضَـــى ولا أَنْجَـــحَ مـــن دِرْهَـــمِ
يَـــأتِيكَ عَفْـــوًا بـــالَّذِي تَشْـــتَهِي نِعْـــمَ رَسُـــولُ الرجُـــلِ المُسْـــلِمِ

ويصور آخر طغيان الحياة المادية، فيقول[١٠٤]:

وَكُنْتُ إِذَا خَاصَمْتُ خَصْمًا كَبَبْتُـــه على الوَجْهِ حَتَّى خَاصَمَتني الدَّرَاهِـــمُ

---

[١٠٢] الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٢، ص٥٠٠.

[١٠٣] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٣٩.

[١٠٤] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٣٩.

www.mtenback.com

فَلَمَّـا تَنَازَعْنَـا الخُصُومَـةَ غُلِّبَـتْ عَلَيَّ، وقالَتْ قُـمْ فَـإِنَّكَ ظَـالِمُ

وَجَمَّل بعضهم الرشوة، فأطلق عليها الهدية، وجعلها تحل محل الشفاعة، أو على الصحيح يجعلها شفيعًا له ووسيلة لبلوغ مراده. فقال[١٠٥]:

ما مِنْ صَدِيقٍ وَإِنْ تَمَّـتْ صَدَاقَتُـهُ يَوْمًا بِأَنْجَحَ فِي الحَاجَاتِ مِـنْ طَبَـقِ

إِذَا تَلَثَّـمَ بِـالمِنْدِيلِ مُنْطَلِقًـا لم يَخْـشَ نَبْـوَةَ بَـوَّابٍ ولا غَلَـقِ

لا تَكْذِبَنَّ، فإنَّ النَّاسَ مُـذْ خُلِقُـوا لِرَغْبَةٍ يُكرِمُـونَ النَّـاسَ أو فَـرَقِ

وقد تنوعت أشكال الهدايا، فإما أن تكون عينية، وهذه أسوأ؛ لما فيها من إذلال النفوس، ومخالفة الطبائع السليمة، وإما أن تكون غير مباشرة، وهذه تأتي على أصنـاف كثيرة أبرزها ما يكون الكرم ستاره، والضيافة وسيلته، فترى بعضهم يقيـم المـآدب، ويدعو وجهاء القوم، لينفذ لغرضه، ويحقق مطلبه، ولولا تلك الحاجة، لمـا اهـتزت أريحيته ولا نخوة الضيافة فيه، لأن ذلك الإكرام ليس طبعًا، وتلك الضيافة لا مسبب لها ولا موجب غير ما يعرف في هذا الزمان بالوصولية.

فالشَّفاعة تأتي بالخير، وتدفع الشر، وتكون علاجًا لكثير من أمـراض المجتمـع فتكون عندئذ معيارًا صادقًا لقيم المجتمع وأخلاقياته، فعندما تسود الشـفاعة وينشـط الشفعاء، وتقبل شفاعاتهم، تسود القيم النبيلة، والأخلاق الكريمة، ويكون ذلك وسيلة وذريعة لتوازن المجتمع وتآلفه وتوادّه، وتموت الرشوة وأصحابها.

أما تعطيل الشفاعة فإنه يفسح المجال للفساد الخلقي، وطغيان المادة، مما يـؤدي إلى فساد المجتمع وانحلاله، ومن ثمة انهياره ودماره.

والشفاعة وسيلة لبث الألفة والمودة في المجتمع، وسبيل لنقاء القلوب وصفائهـا، ونزع جذور الكره والتباغض بين الناس، وذلك أنَّ الشفاعة ضرب من المعروف بـل

---

[١٠٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٣٩.

www.mtenback.com

هي الذروة منه والمعروف وسيلة للتواشج والتراحم والتعاطف، جاء في عيون الأخبار[١٠٦]: «قام رجل من مجلس خالد بن عبد الله القَسْريّ، فقال خالد: إنّي لأبغض هذا الرجل، وما له إليّ من ذنب، فقال رجل من القوم: أَوْلِه أيها الأمير معروفًا. ففعل، فما لبث أنّ خفّ على قلبه، وصار أحد جلسائه».

كما أن الشفاعة من أفضل الوسائل إلى صلة الأرحام، إذ يكون فيها إكرامهم وتآلفهم، وذلك عندما يَقْبل صاحب القرار شفاعة أقربائه فيما ليس فيه هضم حقوق الآخرين، فإن تلك الشفاعة تكون وشيجة تآلف وتعاطف وتوادّ بين ذوي الأرحام والقرابات. جاء في السيرة، أن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: «لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة، فرّ إليّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم، فدخل عليّ عليّ بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلنّهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة... فقال: مرحبًا وأهلاً يا أمّ هانئ، ما جاء بك؟ فأخبرتُه خبر الرجلين وخبر عليّ، فقال: قد أجرنا من أجرتِ، وأمّنا من أمّنتِ، فلا يقتلهما»[١٠٧].

وكثيرًا ما تكون الشفاعة وسيلة ناجحة لصلاح أحوال الناس، واستقامة أمورهم، فكم من مسيء عاد إلى جادة الحق والصواب بعدما شُفع له، والسبب في مثل هذا الإصلاح أنه أخذ نفسه بالتزام أدبي نحو صاحبه الذي شفع فيه، وأصبح يقيم له ولموقفه حسابًا فيما لو أعاد الإساءة أو تدنى إلى مواطن السوء، وبهذا فإنه يُرَبّي نفسه على أمور الخير، وينأى عن مستنقع الشر، وعندئذ يكون لصاحبه فضل انتشاله إلى السلوك الاجتماعي السليم المنضبط مع القيم والأخلاق. وكتب السيرة والتاريخ تمدنا بنماذج كثيرة من هؤلاء، فبعد فتح مكة المكرمة، هرب نفر من قريش، كانوا من ألد

---

[١٠٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٩٨.

[١٠٧] ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا ورفيقيه، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) ق٢، ص٤١١.

www.mtenback.com

أعداء الإسلام وأشدهم خصومة، هربوا خوفًا من الرسول عليه السلام. ولكن عندما سعى أقاربهم، وطلبوا لهم الشفاعة من الرسول عليه الصلاة والسلام. وشفّعهم بهم، وعفا عنهم، عادوا وأسلموا، وحسن إسلامهم، وأصبحوا من الأبطال المدافعين عن الإسلام.

فهذا عكرمة بن أبي جهل يهرب إلى اليمن، فتسعى زوجته له وتطلب الشفاعة من الرسول عليه السلام بعد أن أسلمت، وتطلب الأمان لزوجها، فيؤمنه عليه الصلاة والسلام، فتلحق بزوجها باليمن، وتبلغه أمان الرسول ﷺ، فيعود ويعلن إسلامه ويصبح فيما بعد من أبطال الإسلام المعدودين[١٠٨].

وهذا صفوان بن أمية يخرج إلى جدة ليركب منها إلى اليمن، فيسعى عمير بن وهب بالشفاعة له عند صاحب الشفاعة محمد عليه السلام فيقول له: «يا نبيَّ الله إن صفوان بن أميّة سيد قومه، وقد خرج هاربًا منك، ليقذف نفسه بالبحر، فَأَمِّنْه، صلى الله عليك، قال: هو آمن». فخرج عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر، فقال له: هذا أمان من رسول الله ﷺ وقد جئتك به، فقال إنّي أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذاك وأكرم، فرجع معه، حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنَّك قد أمنتني، قال: صدق، قال: فاجعلني بالخيار شهرين، قال: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر[١٠٩]. ثم أسلم، وحسن إسلامه[١١٠].

ويتجلى هنا كرم الرسول عليه السلام، وسعة صدره، وعظيم حلمه، وجميل عفوه، في أروع صورة وأبدعها، فهذا رجل هارب قد أهدر دمه، يُطلب له العفو، فيعفو عنه الرسول الكريم، ثم يشترط على الرسول عليه السلام، ويطلب شهرين، فيعطيه عليه السلام أربعة أشهر.

---

[١٠٨] ابن هشام: السيرة النبوية، ق٢، ص٤١٨.

[١٠٩] انظر تفصيل ذلك ابن هشام: السيرة النبوية، ق٢، ص٤١٧-٤١٨.

[١١٠] ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ص٢٣.

www.mtenback.com

وفي فتح مكة أيضًا عهد الرسول عليه السلام إلى أمرائه ألاّ يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلاّ أنّه توعّد نفراً من كفار قريش، منهم عبد الله بن سعد. وسبب ذلك أن عبد الله هذا كان قد أسلم ثم ارتد مشركًا، فأمر الرسول ﷺ بقتله لارتداده عن الإسلام وعندما علم بأمر قتله، فر إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان أخاه من الرضاعة. فذهب عثمان إلى الرسول عليه السلام شافعًا وطلب له الأمان، فشفّعه فيه وعفا عنه، وأمّنَهُ، فأسلم وحسن إسلامه، وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض أعماله، ثم ولاه عثمان بعد عمر رضي الله عنهما[١١١].

إنّ من يتأمل هذه الأخبار الموثّقة، يجد أن الشفاعة كانت سببًا في حقن دماء هؤلاء الرجال من جهة، ومن جهة أخرى كانت سببًا في حسن إسلامهم، ومن ثمة استقامتهم على جادة الحق والهدى، بل والدفاع عن الإسلام وخدمته.

يروي ابن حجة الحموي[١١٢] أنه كان لأبي حنيفة النعمان جار إسكافي بالكوفة، فكان إذا انصرف إلى غرفته ليلاً وقد أخذ به السكر يغني، ويسمع أبو حنيفة غناءه، وكان كثيراً ما يغني:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتىً أَضَاعُوا ... لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ

ففقد أبو حنيفة صوته بضع ليال، فسأل عنه، فقيل: أخذه العسس منذ ثلاثة أيام وهو محبوس، فلما صلى الإمام الفجر، ركب من فوره إلى الوالي عيسى بن موسى، فقال له: إن لي جارًا أخذه عَسسك منذ ثلاثة أيام. فقال عيسى: سلموا إلى أبي حنيفة كلَّ من أُخِذَ تلك الليلة إلى يومنا هذا، فأطلقوا جميعًا. فلما خرج الفتى دعاه أبو حنيفة، وقال له سرًّا: ألست كنت تغني يا فتى كلَّ ليلة:

---

(١١١) ابن هشام: السيرة النبوية، ق٢، ص٤٠٩.

(١١٢) أبو بكر علي بن محمد بن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، تصحيح محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (١٩٧١م)، ص٣٩-٤٠، وانظر الأغاني: ج١، ص٤١٤.

www.mtenback.com

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فتىً أَضَاعُوا .. ..

فهل أضعناك؟ قال: لا والله أيها القاضي، ولكن أحسنت وتكرمت، أحسن الله جزاءك. ولله عليّ ألاّ أشرب بعدها خمرًا، فتاب من يومه، ولم يعد إلى ما كان عليه.

ومما يروى في هذا الباب ما رواه الأبشيهي من أن المأمون عهد إلى العباس صاحب شرطته رجلاً مكبلاً بالحديد، وقال له: «خذ هذا إليك، واستوثق به، واحتفظ به، وبكّر به إليّ في غد، واحترز عليه كلّ الاحتراز». فلما أخذه صاحب الشرطة إلى بيته وجرى حديث بينهما فوجئ بأن هذا الرجل كان أقد أسدى إليه معروفًا كبيرًا فيما مضى، عندما كان صاحب الشرطة في دمشق، حيث أنقذه من موت محقق، وأنعم عليه بنعم كثيرة، وجهزه بجهاز عظيم، حتى أوصله بغداد. فسأله صاحب الشرطة عن شأنه، فقال: «هاجت بدمشق فتنة... فنسبت إليّ، وبعث أمير المؤمنين بجيوش، فأصلحوا البلد، وأخذت أنا، وضربت إلى أن أشرفت على الموت، وقيدت، وبعث بي إلى أمير المؤمنين، وأمري عنده عظيم، وخطبي لديه جسيم، وهو قاتلي لا محالة».

وفي الصباح ذهب صاحب الشرطة إلى المأمون، فقص عليه القصة، وطلب للرجل الشفاعة، وإلاّ فإنه يقدم نفسه للموت بدلاً منه، فما كان من المأمون إلا أن استجاب لطلبه وعفا عن الرجل، ولم يكتف بذلك بل أنعم عليه وكافأه، وعرض عليه أعمال دمشق، فاستعفى، فكتب المأمون إلى عامله بدمشق بالوصية به، وطلب منه مكاتبته بأحوال دمشق، فصارت كتبه تصل إلى المأمون، وكلما وصل البريد من دمشق وفيه كتابه قال المأمون: يا عباس هذا كتاب صديقك.

أرأيت كيف بدّلت الشفاعة الأحوال، فأنقذت رجلاً من موت محقق، وبعد أن كان عدوًا لدودًا أصبح صديقًا ودودًا، وبعد أن كان معارضًا للدولة أصبح من رجالاتها والمحافظين عليها، لقد كان في الشفاعة إصلاح حال الرجل من جهة، وصلاح من بعده من جهة أخرى.

www.mtenback.com

وقد يستغل الشفيع مناسبة الشفاعة، ليوجه نصيحة لطالبها، ليرشده إلى طريق الهدى والاستقامة، جاء في ربيع الأبرار[113]: «عن الشَّقْرانيّ مولى رسول الله ﷺ: خرج العطاء أيام أبي جعفر، ومالي شفيع، فبقيت على الباب متحيرًا، فإذا أنا بجعفر بن محمد، فقمت إليه فقلت: جعلني الله فداءك، أنا مولاك الشقراني، فرحب بي، وذكرت له حاجتي، فنزل، ودخل وخرج، وعطائي في كمِّه، فصبَّه في كمّي، ثم قال: يا شقراني إن الحسن من كلّ أحد حسن، وإنَّه منك أحسن، لمكانك منا، وإن القبيح من كلّ أحد قبيح، وإنَّه منك أقبح لمكانك منا» ثم يعلق الزمخشري على هذا الكلام بقوله[114]: «وإنَّما قال له ذلك، لأن الشّقْراني كان يصيب من الشراب، فانظر كيف أحسن استنجاز طلبته، وكيف رحب به، وأكرمه، مع اطّلاعه على حاله، وكيف وعظه على جهة التعريض، وما هو إلاّ من أخلاق الأنبياء».

ثم إنَّ في الشفاعة عزًّا للشافع والمشفّع، وذلك أن السعي في مصالح الناس وقضاء حوائجهم يزيد الشفيع عزًا وجاهًا. ومكانةً سامقة في المجتمع، جاء في نهاية الأرب[115]: «وقيل: قصد ابن السمّاك الواعظ رجلاً في حاجة لرجل، سأله الشفاعة فيها، فقال ابن السمّاك، إنّي أتيتك في حاجة، وإنَّ الطالب والمطلوب إليه عزيزان إنْ قُضيت الحاجة، وذليلان إن لم تُقْضَ، فخذ لنفسك عز البذل على ذل المنع، واختر لي عز النجح على ذُلّ الردّ، فقضى حاجته».

---

[113] الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٢، ص٥١١، والشقراني: نسبة إلى شقران مولى رسول الله ﷺ، فهو من أحفاده، قال محقق ربيع الأبرار: «و لم يتبيّن لنا من هو الشقراني هذا الذي عاش في أيام المنصور العباسي، وروى الزمخشري خبره مع جعفر بن محمد» انظر الحاشية (١)، ج٢، ص٥١١.

[114] الزمخشري: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٢، ص٥١٢.

[115] النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص٢٥٧.

www.mtenback.com

ومثل ذلك ما جاء في عيون الأخبار من أن محمد بن واسع، دخل على قتيبة ابن مسلم في حاجة، فقال: «إنّي آتيتك في حاجة، فإن شئت قضيتها، وكنّا جميعًا كريمين، وإن شئت منعتها، وكنّا جميعًا لئيمين»[١١٦].

ضروب الشفاعة:

الشفاعة نوعان: شفاعة حسنة، وشفاعة سيئة، وقد أوضح القرآن الكريم هذين النوعين، وبيّن أن من يشفع شفاعة حسنة، يَكُنْ له ثواب وأجر من الله تعالى جزاء شفاعته الحسنة، أما من يشفع شفاعة سيئة فيكون له نصيب من وزر شفاعته التي شفعها، قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾[١١٧].

فالشفاعة الحسنة هي كلُّ شفاعة لرفع ظلم عن مظلوم، أو دفع جور عن مقهور، أو يكون فيها إيصال حقّ لصاحبه، أو قضاء حاجة مشروعة لإنسان لا يصل إليها بدون شفيع، أو كان فيها إصلاح بين متخاصمين أو إن فيها عفواً عمن رغب الإسلام بالعفو عنهم، فقد يهفو المرء ونيته سليمة، أو يزل وطريقته مستقيمة، فمن مكارم الأخلاق ومظاهر الرحمة أن يشفع له عند ذي السلطان ذو جاه، أو ذو دالة، فينقذه من العقوبة. وربما يبدر من إنسان جاهل تصرفٌ شائن، أو قول غير لائق يغيظ به ذا سلطان فيهمُّ بعقوبته، فيقوم شخص ذو دالة عند السلطان فيشفع لذلك الجاهل، فينجيه من العقاب، من ذلك شفاعة الحر بن قيس لعمّه عُيَيْنَة بن حصن عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١١٨]، وذلك أن عُيَيْنَة قال: «هيْ يا بن الخطّاب، فوالله ما تعطينا

---

[١١٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٤٣-١٤٤.

[١١٧] سورة النساء: ٨٥.

[١١٨] انظر حسن عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، بيروت، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٢، ص٦٧.

www.mtenback.com

الجزل، ولا تحكم بالعدل» فغضب عمر رضي الله عنه، وكان الحر من المقربين إلى عمر رضي الله عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين: إن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[119]. وإن هذا من الجاهلين، يعني عمّه عيينه، فعفا عنه عمر رضي الله عنه.

ومن الشفاعة الحسنة، أن يؤخذ إنسان بشبهة، وليس هناك دليل قاطع على جرمه، فينهض من يشفع له عند أولي الأمر، فينقذه من العقوبة، روى ابن قتيبة[120] أن الأحنف بن قيس دخل على مصعب بن الزبير، فكلمه في قوم حبسهم، فقال: «أصلح الله الأمير. إن كانوا حبسوا في باطل فالحق يخرجهم، وإن كانوا حبسوا في حق فالعفو يسعهم. فخلاهم».

ومن الشفاعة الحسنة الشفاعة في إصلاح ذات البين، وهذه تكون بين الأهل والأقارب والأزواج، من ذلك شفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام لمغيث عند زوجته بريرة، وقد فعل الرسول ذلك رحمة بمغيث وإشفاقًا عليه لما رأى فيه من شدة حبه لزوجه، وتعلقه بها، روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس[121]: «أنَّ زوج بريرة كان عبدًا، يقال له مُغِيْث، كأنّي أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبيُّ ﷺ للعبّاس: «يا عباس، ألاَ تعجب من حبّ مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثًا»، فقال النبيُّ ﷺ: «لو راجعته» قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: «إنّما أنا أشفع» قالت لا حاجة لي فيه».

---

[119] سورة الأعراف: ١٩٩.

[120] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص١٧٧.

[121] البخاري: صحيح البخاري، رقم ٥٢٨٣، ص١٠٤٥.

www.mtenback.com

ومن يتأمل هذا الحديث الشريف يجد فيه جملة أمور مهمة في مسألة الشفاعة، فأول ما نجد أن دافع الشفاعة هنا كان الرحمة والشفقة، والأمر الثاني أن الرسول عليه الصلاة والسلام بادر في شفاعته دون أن تُطلب منه، وهذا في منتهى الكرم وسمو الأخلاق. والأمر الثالث: أن الشفاعة هنا كانت ممن هو في أسمى المراتب، وأرفع الدرجات إنه سيد البشر قاطبة، يطلبها ممن كانت أمةً له وملكًا من أملاكه، ومع ذلك كانت الشفاعة خالصة لا تشوبها شائبة من إكراه أو إلزام، فعندما سألته بريرة: أتقولك هذا أمرٌ لي فأمتثله؟ قال عليه السلام: «إنّما أنا أشفع» فأدركت أن ذلك ليس أمرًا، وأنها بالخيار: أمضته أو ردّته.

وأخيرًا نجد الرسول عليه السلام لم يعزم عليها بمراجعة زوجها، و لم يُشَدِّدْ عليها في شفاعته، لأن العلاقة الزوجية لا تكون بالإكراه، والقسر، فلا خير فيها إن لم تكن عن تراض وتفاهم بين الزوجين.

ومن مجالات الشفاعة الحسنة، الشفاعة للقاتل عند أولياء المقتول لرفع القصاص عنه، وقبول الدية، أو العفو وذلك إذا ما أظهر القاتل توبته وندمه على ما بدر منه، وعزم على الاستقامة، وسلك سبل الرشاد.

ولربما كانت في قضية القتل ملابسات خفية أدّت إلى أن يقدم القاتل على فعلته، وهو لا يريد ذلك، وليس في نيته وقصده القتل، و لم يكن عازمًا عليه، ولهذا حسنت الشفاعة للقاتل، جاء في عيون الأخبار[١٢٢]: «مرّ الحسن البصري برجل يُقَاد منه، فقال للولّي: يا عبد الله، إنّك لا تدري لعل هذا قتل وليّك وهو لا يريد قتله، وأنت تقتله متعمدًا، فانظر لنفسك. قال: قد تركته لله».

وقد ألمح القرآن الكريم ضمنًا بترغيب أولياء القتيل بالعفو، وذلك في آية القصاص، إذ يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ

[١٢٢] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص١٨٠.

www.mtenback.com

بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٢٣].

ففي ذكر الأُخُوَّة تعطُّفٌ يدعو إلى العفو، فقد سمّى الله القاتل أخًا لولي المقتول، تذكيرًا بالأخوة الدينية والبشرية حتى يهزّ عطف كل واحد منهما إلى الآخر، فيقع بينهم العفو والاتباع بالمعروف والأداء بالإحسان[١٢٤].

أمّا الشفاعة السيئة، فهي كلُّ شفاعة يعطَّل فيها حدٌّ من حدود الله، أو يفلت فيها مجرم متمرس بالإجرام من العقاب الرادع، أو يحصل فيها إنسان ما على منفعة، تكون على حساب حق إنسان آخر، يهضم فيها حقه، فيعطى لغير مستحقه، أو تؤدي إلى محاباة في عمل، أو تكون وسيلة لتقديم غير المستحق عن المستحق بما يجر إلى الخلل والزلل والغرر.

وهذه الشفاعة بصورها المختلفة، ووسائلها المتنوعة، مذمومة مرفوضة، يأثم بسببها الشفيع وطالب الشفاعة والمشفعّ، وذلك لما فيها من هضم لحقوق الناس، ولما فيها من تعطيل الحدود التي شرعها الله تعالى لصلاح أمور الناس عامة ولاستقرار الحياة بكل مستوياتها، ولما تؤديه من فوضى واضطراب في المجتمع، فيتقدم المتأخر، ويتأخر المتقدم، فلا يصل الرجل المناسب إلى المكان المناسب، فتضطرب أحوال الناس، ويتعطل النظام، وينتشر الفساد وتفشو الرشوة، وتطغى الأخلاق السيئة الدنيئة من بغض وتحاسد، ونفاق ورياء، فيكون ذلك إيذانًا بدمار المجتمع وهلاكه.

ولذلك غضب الرسول عليه الصلاة والسلام من شفاعة أسامة بن زيد، حينما شفع في حدٍّ من حدود الله. وهو حدّ السرقة، أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة

---

[١٢٣] سورة البقرة: ١٧٨.

[١٢٤] انظر الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ج١، ص١٢٠.

www.mtenback.com

أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها[١٢٥]: «أنَّ قريشًا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلّم رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلاَّ أسامة حِبّ رسول الله ﷺ، فَكَلَّم رسول الله ﷺ فقال: «أَتَشْفَع في حدٍّ من حدود الله» ثم قام فخطب، قال: «يا أيها الناس، إنما ضَلَّ مَنْ قبلكم، أنَّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحدّ، وَايْمُ الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يَدَها» وفي رواية أخرى: «إنَّما هَلَكَ من كان قبلكم»[١٢٦].

فمثل هذه الشفاعة السيئة تكون سببًا لهلاك الأمم ودمارها، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام شديداً في التصدي لمثل هذه الأمور، فلا يقبل فيها شفاعة، وكان ينهي عن قبولها، أخرج الدار قطني في سننه[١٢٧] عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «قال رسول الله ﷺ: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلاَّ حدًّا من حدود الله».

وقد تدفع الشفقة بعض الناس إلى التماس العفو عن الجاني حتى ولو كان في حدّ من حدود الله، ولا بأس أن يعفو صاحب الحق عن المعتدي، لكن ذلك العفو يجب أن يكون قبل وصول القضية إلى الحاكم، فإذا بلغت الحاكم فعندئذ يستوي صاحب الحق في عفوه مع من يشفع في ذلك الحدّ لأن في كلا الحالين تعطيلاً لأحكام الشرع، وهو ما لا ينبغي أن يرضاه حاكم، أخرج الدار قطني أيضًا في سننه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال[١٢٨]: «كان صفوان بن أمية بن خلف نائمًا في المسجد، ثيابه تحت رأسه، فجاء سارق فأخذها، فأتى به النبي ﷺ، فأقرّ السارق، فأمر به النبي

---

[١٢٥] البخاري: صحيح البخاري، رقم ٦٧٨٨، ص١٢٩٥.

[١٢٦] البخاري: صحيح البخاري، رقم ٦٧٨٧، ص١٢٩٥.

[١٢٧] علي بن محمد الدار قطني: سنن الدار قطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المحاسن للطباعة، (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) ج٣، ص٢٠٧.

[١٢٨] علي بن محمد الدار قطني: سنن الدار قطني، ج٣، ص٢٠٤-٢٠٥

www.mtenback.com

ﷺ أن يُقْطع، فقال صفوان: يا رسول الله أيقطع رجل من العرب في ثوبي، فقال رسول الله ﷺ: أفلا كان هذا قبل أن تجيء به، ثم قال رسول الله ﷺ: «اشفعوا ما لم يصل إلى الوالي، فإذا أوصل إلى الوالي فعفا، فلا عفا الله عنه، ثم أمر بقطعه من المفصل».

وأخرج الدار قطني أيضًا في سننه عن هشام بن عروة عن أبيه قال: «شفع الزبير في سارق فقيل: حتى يبلغ الإمام، فقال: إذا بلغ الإمام، فلعن الله الشافِع والمُشَفِّع، كما قال رسول الله ﷺ».

إنّ مثل هذه الشفاعة مشروعة دينًا وعرفًا، وتجيزها كل القوانين العالمية، وتعرف بـ (حلّ القضية وديًّا). وهذا ما نجده في جميع الأنظمة الحديثة، فإنّهم يسعون إلى حل الخلاف بين المتخاصمين وديًّا بالتراضي بوساطة بعض الأصدقاء، قبل الوصول إلى المحاكم، وتطبيق القانون فيها، فإذا ما باءت الوساطة بالفشل فعندئذ لابد من تطبيق القانون.

ويحسن بنا أن نختم الحديث عن الشفاعة بكلام للشيخ محمد رشيد رضا، حيث يقول[١٢٩]: «إن الحاكم العادل لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإعلامه ما لم يكن يعلم من مظلمة المشفوع له، أو استحقاقه لما يطلب له، ولا يقبل الشفاعة لأجل إرضاء الشافع، فيما يخالف الحق والعدل، وينافي المصلحة العامة، وأما الحاكم المستبد الظالم، فهو الذي تروج عنده الشفاعات، لأنه يحابي أعوانه المقربين منه، ليكونوا شركاء له في استبداده، فيثق بثباتهم على خدمته، وإخلاصهم له، وما الذئاب الضارية بأفتك في الغنم من فتك الشفاعات في إفساد الحكومات والدول، فإن الحكومة التي تروج فيها الشفاعات يعتمد التابعون لها على الشفاعة في كلّ ما يطلبون منها لا على الحق والعدل، فتضيع فيها

[١٢٩] محمد رشيد رضا: تفسير المنار، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (١٣٩٣هـ)، ج٥، ص٣٠٩.

www.mtenback.com

الحقوق، ويحل الظلم محل العدل، ويسري ذلك من الدولة إلى الأمّة فيكون الفساد عامًا... وقد نشأنا في بلاد هذه حال أهلها، وحال حكومتهم تعتقد الجماهير أنّه لا سبيل إلى قضاء مصلحة في الحكومة إلاّ بالشفاعة أو الرشوة، ولا يقوم عندنا دليل على صلاح حكومتنا إلاّ إذا زال هذا الاعتقاد، وصارت الشفاعة من الوسائل التي لا يلجأ إليها إلاّ أصحاب الحق بعد طلبه من أسبابه، والدخول عليه من بابه، وظهور الحاجة إلى شفيع، يُظهر للحاكم العادل ما لم يكن يعلمه من استحقاق المشفوع له لكذا، أو وقوع الظلم عليه في كذا، وأن يكون ما عدا هذا من النوادر التي لا تخلو حكومة منها، مهما ارتقت وصلح حالها».

شروط الشفاعة وآدابها:

للشفاعة كما رأينا أهمية بالغة في توازن المجتمعات واستقرارها، وتضامن أفرادها وتآلفهم، ولكي تعطي الشفاعة قطوفها دانية، وثمارها يانعة، لابدّ أن تمارس وفق شروط معينة وآداب مخصوصة، ولابدّ أيضًا من شروط وآداب تتوافر في الشفيع، والمشفّع. فليس كلُّ إنسان أهلاً للشفاعة، ولا كلُّ رجل مقصد الرجاء، ولا محط رحال الآملين، جاء في روضة العقلاء[١٣٠]: «ولا يجب أن يسأل الحاجة كلّ إنسان، فرب مهروب منه، أنفع من مُستَغاث إليه».

ولذلك كان الأشراف والوجهاء، وذوو المكانة هم الذين يُسعى إليهم في طلب الشفاعات، وقضاء الحوائج.

وذكر الحكماء والعقلاء شروطًا وأوصافًا للشفيع، منها أن يكون عاقلاً غير أحمق ولا فاسقًا ولا كذابًا، فقالوا[١٣١]: «لا يجب للعاقل أن يتوسل في قضاء حاجته

---

[١٣٠] أبو حاتم محمد بن حبّان البستي: روضة العقلاء، ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٢٥١.

[١٣١] أبو حاتم: محمد بن حبّان البستي: روضة العقلاء، ص٢٥١.

www.mtenback.com

بالعدو، ولا بالأحمق ولا بالفاسق وبالكذّاب» وكان الأحنف بن قيس يقول: «لا تطلبنّ الحاجة إلى ثلاثة: كذوب، فإنه يقربها عليك وهي بعيدة، ويباعدها وهي قريبة، ولا إلى أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرّك ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة، فإنه يجعل حاجتك، وقاية لحاجته».

كما نهوا عن طلب الشفاعة من اللئام، قال الشاعر[١٣٢]:

لا تَطْلُبَنَّ إلى لَئِيمٍ حَاجَةً ... واقْعُدْ فَإنَّكَ قائمٌ كالقَاعِدِ

ولذلك كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول[١٣٣]: «فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها»، ومثل ذلك قول خالد بن صفوان[١٣٤]: «لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها».

ونهوا أيضًا عن طلب الشفاعة ممن له حاجة عند المشفّع، جاء في روضة العقلاء[١٣٥]: «قال أبو عمرو المنذري: أتيت مسلم بن قتيبة في حاجة، وكان له صديق من أهل الشام، فكلمته أن يكلمه في حاجتي، فجعل يقول: اليوم، غدًا، فطال عليّ، فتراءيت له، وقد كان يعرفني، فدعاني، فقال: أبا عمرو، إنّك لهٰهنا؟ قلت: نعم، أطالبك بحاجة منذ كذا وكذا وإنّ وسيلتي فيها فلان، فضحك، وقال: قد كنت أراك قد أحكمت الآداب، لا تستعن إلى من تطلب إليه حاجة بمن له عنده طعمة، فإنه لا يؤثرك على طعمته، ولا تستعن بكذاب، فإنّه يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب، ولا تستعن بأحمق، فإن الأحمق يجهد لك نفسه، ولا يكون عنده شيء، ولا يبلغ لك ما تريد، فانصرفت، فقلت يكفيني هذا، قال: لا، ولكن نقضي لك حاجتك، فقضاها.

---

[١٣٢] أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي: بهجة المجالس، وأنس المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، مراجعة عبد القادر القط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، ج١، ص٢٢٢.

[١٣٣] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٥٣.

[١٣٤] القرطبي: بهجة المجالس، ج١، ص٢٢٠.

[١٣٥] البستي، روضة العقلاء، ص٢٥٠.

www.mtenback.com

وفي هذا المعنى يقول الشاعر[١٣٦]:

وَلا تَسْتَعِيْنَنَّ في حاجَةٍ بِمَنْ يَبْتَغِي حاجَةً مِثْلَهَا
فَيَنْسَى الذي كُنْتَ كَلَّفْتَهُ وَيَبْدَا بِحاجَتِهِ قَبْلَهَا

ومما اشترطوه في الشفاعة أن يَتَحَرَّى طالبها الأوقات الملائمة للطلب، وأن يطلب شيئًا معقولاً، فلا يطالب بقضاء أمر بعيد المنال، صعب التحقيق، قال خالد بن صفوان[١٣٧]: «لا تطلبوا الحوائج في غير حينها، ولا تطلبوا ما لستم له بأهل، فتكونوا للمنع خلقاء».

وهذا أمر في غاية الكياسة، فعندما يقصد إنسان مسؤولاً، أو صاحب سلطة لِيَشْفَعَ لآخر، ويقضي حاجته، فعليه أن يتحين الأوقات المناسبة لمثل هذه الشفاعة، فلا يطلب من المسؤول إذا ما رآه مشغولاً بأمر ما، أو كان في وضع نفسي أو جسدي لا يسمح بسؤاله فيما قصده، وكذلك على الشفيع ألاَّ يطلب شيئًا ليس صاحبه جديرًا به ولا خليقًا به وليس له فيه حق مشروع.

وكان يقال[١٣٨]: «إذا طلب عاقل إلى كريم حاجة انقضت، لأن العاقل لا يطلب إلاَّ ما يمكن؛ والكريم إذا سئل ما يمكن لم يمنع». وهذا على حد قول العرب[١٣٩]: «إذا أحببت أن تطاع، فاسأل ما يستطاع».

وفي هذا المعنى، يقول القطامي[١٤٠] وقد تمثل به عامر بن خالد ليزيد بن الصَّعق:

إنّك إِنْ كَلَّفْتَنِي ما لَمْ أُطِقْ ساءَكَ ما سَرَّكَ مِنّي من خُلُق

---

[١٣٦] القرطبي: بهجة المجالس: ج١، ص٢٢٣.

[١٣٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٣٥.

[١٣٨] القرطبي: بهجة المجالس، ج١، ص٢٢١.

[١٣٩] القرطبي: بهجة المجالس، ج١، ص٢٢١.

[١٤٠] القرطبي: بهجة المجالس، ج١، ص٢٢١.

www.mtenback.com

جاء في زهر الآداب[١٤١]: «أن رجلاً كان دائم السعي في قضاء حوائج الناس، وعندما سُئل عمَّا سهل عليه المعاودة والطلب، قال: «لا أبلغ المجهود، ولا أسأل ما لا يجوز، وليس صدق العذر بأكره إليَّ من إنجاز الوعد، ولست لإكراه السائل بأكره مني لإجحاف المسؤول، ولا أرى الراغب أوجب حقًا عليَّ للذي قدم من حُسْنِ ظنه من المرغوب إليه للذي احتمل من كله».

وعلى سائل الشفاعة ألاَّ يسأل في الوقت نفسه شفاعة لآخر، فيثقل على نفسه وعلى من تشفع عنده، قال بعض الحكماء[١٤٢]: لا تكثر على أخيك بالحوائج، فإن العجل إذا أفرط في مصّ ثدْي أمّه نطحته. وجاء في روضة العقلاء[١٤٣]: «ولا يجب أن يكون السائل متشفعًا لآخر، لأن من لم يقدر على أن يسبح فلا يجب أن يحمل على عنقه آخر» ولذا كان من آداب الشفاعة عدم طلب حاجتين في حاجة واحدة، وفي وقت واحد لما في ذلك من الإثقال على المشفّع، وربما يؤدي ذلك إلى عدم تحقيق أي من الحاجتين. ومن طريف ما يروى في ذلك[١٤٤] أن هاشم بن القاسم قال سألت سالم ابن قتيبة حاجة فقضاها، ثم سألته أخرى، فانتهرني، وقال: حاجتين في حاجة، أو قال على الريق؟ ثم دعا بالطعام، فلما تغدى قال: هات حاجتك، أما سمعت قول الصبيان:

إِذَا تَغَدَّيْتُ وَطَابَتْ نَفْسِي
فَلَيْسَ فِي الحَقِّ غُلاَمٌ مِثْلِي
إِلاَّ غُلاَمٌ قَدْ تَغَدَّى قَبْلِي

---

[١٤١] أبو إسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب، شرح زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج٣، ١٠٢٧.

[١٤٢] الأبشيهي، المستطرف، في كلّ فن مستظرف، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ج١، ص٣٦٠.

[١٤٣] البستي، روضة العقلاء: ص٢٥١.

[١٤٤] البستي، روضة العقلاء: ص٢٥١.

www.mtenback.com

ومن ذلك ما جاء في التذكرة الحمدونية[١٤٥]: «رفع طريح بن إسماعيل الثَّقَفي حاجةً إلى كاتب داود بن عليّ، فرفعها إلى داود، وجاء متقاضيًا له، قال: هذه حاجتك مع حاجة فلان أخيك من الأشراف، فقال طريح:

تَخَـلَّ لِحَـاجَتي واشْـدُدْ قُوَاهَـا ... فَقَـدْ أَمْسَـتْ بِمَنْزِلَـةِ الضَّيَـاعِ

إِذا أَرْضَعْتَهـا بِلَبَـانِ أُخْـرَى ... أَضَـرَّ بِهـا مُشَـارَكَةُ الرَّضَـاعِ

ومن الآداب المستحبة في الشفاعة ألاّ يلح طالب الحاجة في طلبه، ولا يظهر الحرص الشديد في اقتضاء حاجته، فإن الكريم يكفيه العلم بالحاجة دون المطالبة والاقتضاء، وفي هذا المعنى قال الشاعر[١٤٦]:

وإِذَا طَلَبْتَ إِلى كَرِيمٍ حَاجَةً ... فَاصْبِرْ ولاتَكُ للمِطَالِ مَلُولا

لا تُظْهِرَنْ شَرَهَ الحَرِيصِ ولا تَكُنْ ... عِنْدَ الأُمُورِ إذا نَهَضْتَ ثَقِيلا

وقال آخر[١٤٧]:

وإِذَا طَلَبْتَ إلى كَرِيمٍ حاجَةً ... فَحُضُورُهُ يَكْفِيكَ والتَّسْلِيمُ

فإِذَا رَآكَ مُسَلِّمًا عَرَفَ الَّذي ... حَمَّلْتَهُ فَكَأَنَّهُ مَلْزُومُ

ومن أروع ما قيل في التلميح بطلب الحاجة، قول أمية بن أبي الصلت[١٤٨]:

أَأَذْكُرُ حَاجَتي أَمْ قَدْ كَفَاني ... حَيَاؤُكَ إِنْ شِيمَتَكَ الحَيَاءُ

وعِلْمُكَ بالأُمورِ وأَنْتَ قَرْمٌ ... لَكَ الحَسَبُ المُهَذَّبُ والسَّنَاءُ

---

[١٤٥] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٥٩.

[١٤٦] البستي، روضة العقلاء، ص٢٥١.

[١٤٧] البستي، روضة العقلاء، ص٢٥١.

[١٤٨] أمية بن أبي الصلت: شرح ديوان أمية بن أبي الصلت، قدم له سيف الدين الكاتب، أحمد عصام الكاتب، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص١٩.

www.mtenback.com

غير أن هذا لا يمنع من إعادة طلب الشفاعة دونما إلحاح، وذلك توخيًا للظروف الملائمة المساعدة على تحقيق الطلب، فقد تطلب حاجة فلا تقضى في وقت إلا أنها قد تقضى في آخر، قال أحدهم[١٤٩]: «إذا سألتمونا الحاجة فعاودونا فيها، فإنّ الله تعالى يُقَلِّب القلوب».

وعلى المُشْفِّع ألاَّ يتشاغل عن قاصديه بكثرة أعماله وتعدد مهامه، لأن هذه المهام العديدة، وتلك الأعمال الكثيرة هي التي جعلته محط رحال الآملين، ومقصد طلاب العون والمعروف، فالرجل لا يكون كذلك، إلاَّ عندما يكون كثير المهام، عظيم المشاغل، جليل الشأن، قال الشاعر[١٥٠]:

ولا تَعْتَذِرْ بالشُّغْلِ عنّا فإنَّمَا ... تُنَاطُ بِكَ الآمالُ ما اتَّصَلَ الشُّغْلُ

فالإنسان الذي يتسنَّم منصبًا مرموقًا، يكون مقصدًا لأصحاب الشفاعات، وملجأ لذوي الحاجات، قال ذو الرِّئاستين لُثمامَةَ بن أَشْرَس: ما أدري ما أصنع بكثرة الطلاب؟ فقال: زِلْ عن موضعك، وعليَّ ألاَّ يلقاك منهم أحد، فقال له: صدقت، وجلس لهم في قضاء حوائجهم[١٥١].

وأتى رجل بعض الولاة، وكان صديقه، فتشاغل عنه، فتراءى له يومًا، فقال: اعذرني، فإنّي مشغول، فقال: لولا الشغل ما أتيتك[١٥٢].

ومن آداب الشفاعة أن يلقى الشفيع صاحب الحاجة بالبشر والطّلاقة، وألا يتجهم له، سواء لبَّى طلبه أم لم يلبِّ، فقد قيل[١٥٣]: الْقَ صاحب الحاجة بالبشر، فإن عَدِمْتَ شكره، فلم تَعْدَم عذره، وقيل: «حسن البشر مخيلة النجح».

---

[١٤٩] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٥٥.

[١٥٠] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٤١.

[١٥١] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص٣٦٠.

[١٥٢] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٤١.

[١٥٣] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٥٩.

www.mtenback.com

فعلى من يقصده الناس طلبًا للشفاعة، أن يكون هاشًّا لهم، باشًّا إليهم، لا يشعرهم ذُلَّ السؤال، جاء في التذكرة الحمدونية[١٥٤]: «كان الزوار يُسَمّون السُّؤال إلى أيام خالد بن برمك، فقال خالد: هذا والله اسم، أستقبحه لطالب الخير، وأرفع قدر الكريم عن أن يُسَمّى به أمثال المؤملين، لأن فيهم الأشراف، والأحرار، وأبناء النعم، ومن لعله خيرٌ ممن يقصد، وأفضل أدبًا لكننا نسميهم الزوّار».

وقد كان بعض الأعيان يطلب من ذوي الحاجات، أن يرفعوها إليه مكتوبة، وذلك حتى يصون وجوههم، من ذلّ السؤال، فقد سأل رجلٌ مطرف بن عبد الله بن الشخير حاجة، فقال[١٥٥]: «من كانت له حاجة فليكتبها في رقعة، فإنّي أرغب بوجوهكم عن مكروه السؤال».

قال عبد الله بن الحسن بن علي: أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة، فقال: إذا كانت لك حاجة إليّ، فأرسل إليّ رسولاً، أو أكتب لي كتاباً، فإني لأستحيي من الله أن يراك ببابي[١٥٦].

وعلى طالب الشفاعة أن يشكر الشفيع، اعترافًا بفضله، وتقديرًا لجهوده، قال دعبل[١٥٧]:

شَفِيعَكَ فاشْكُرْ في الحَوائجِ إنَّهُ يَصُونُكَ عن مَكْروهِها وهو يُخْلِقُ

وعليه أن يشكره أيضًا، سواء أنجح في مسعاه أم أخفق، ما دام قد بذل جهده، واستفرغ طاقته، وفي هذا المعنى يقول الشاعر[١٥٨]:

---

[١٥٤] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٥٦.

[١٥٥] القرطبي: بهجة المجالس، ج١، ٣٢٢.

[١٥٦] الأبشيهي، المستطرف، ج١، ص٣٦٢.

[١٥٧] شعر دعبل بن علي الخزاعي، صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ص١٥٢.

[١٥٨] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٥٢.

www.mtenback.com

إذا الشَّافِعُ اسْتَقصَى لك الجُهْدَ كُلَّــه ... وَإنْ لم تَنَل نُجْحًا فَقَدْ وَجَبَ الشّــكْرُ

وعليه كذلك ألاّ يلوم الشفيع، أو يسخط عليه، بل يجـد لـه عـذرًا، قـال أحدهم(١٥٩):

أَنْزَلْـتُ بـالحُرِّ إبْراهيـمَ مَسْـأَلَةً ... أَنْزَلْتُهـا قَبْـلَ إبْراهِيـمَ بـالله

فإنْ قَضَى حَـاجَتِي، فـاللهُ يَسَّـرَها ... هـو المقَدِّرُهـا والآمِـرُ النَّـاهِي

إذا أَبَـى اللهُ شَـيْئًا ضَـاقَ مَذْهَبُـهُ ... عَلَى الكَبيرِ العَرِيضِ القَـدْرِ والجـاهِ

ومن أهم آداب الشفاعة أن يخلص الشفيع في شـفاعته، وأن يبـذل قصـارى جهده، ولا يكون مجرد ناقل للطلب، وموصل له فحسب، لا يهتم به سواءٌ أجيز أم لا، بل عليه أن يستخدم كلَّ ما لديه من دالة عند المشفَّع حتى ينجـز طلبتـه، جـاء في التذكرة الحمدونية(١٦٠): «قال الفضل بن محمد بن منصور بن زياد: أتيت عبد الله بـن العباس العلوي في حاجة لبعض جيراننا، بعد وفاة أبي، وكانت بينه وبينه مودّة، فَمتَـتُّ بها، ثم قلت له: جئت في حاجة إن سهل قضاؤها أعظم الأمير بها المنّة، وإن تعـذَّر فالأمير معذور. فقال لي: يا حبيبـي، إذا كنتُ معذورًا فلم جئتني؟ إذا أوجبت علـى نفسك أن تنهض لرجلٍ في حاجة، فاغضبْ فيها وارضَ، وإلاَّ فالزم بيتك».

ومما يصور إخلاص الشفيع، ودأبه في الشفاعة حتى يصل إلى ما يريد، مـا رواه الزمخشري فقال(١٦١): «غضب الرشيد على كلثوم بن عمرو العتّـابي القنسـريني، فَتَشَفَّع له الفضل بن يحيى حتى رضي عنه، فقال كلثوم:

ما زلْتُ في غَمَراتِ المَـوْتِ مُطَّرِحًـا ... يَضِيقُ عنّي وَسِيعُ الرَّأي من حِيَلِـي

(١٥٩) القرطبي: بهجة المجالس، ج١، ص٣١٧.

(١٦٠) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٥٩-١٦٠.، مَتَتُ: توسلت. القاموس المحيط (مَتّ).

(١٦١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٢، ص٥٠٩.

www.mtenback.com

فلم تَزَلْ دائِبًا تَسْعَى بِلُطْفِكَ لي حَتّى اخْتَلَسْتَ حَيَاتي من يَدَي أَجَلِي

ومن أروع صور الإخلاص في الشفاعة، والتفاني في سبيل تحقيقها شفاعة سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب، عند الوليد بن عبد الملك[١٦٢].

وذلك أن الحجّاج بن يوسف الثقفي سجن يزيد بن المهلب وإخوته، غير أن يزيد استطاع أن يهرب من السجن، ويلجأ إلى سليمان بن عبد الملك ــ وكان واليًا على فلسطين ــ مستجيرًا به. فكتب سليمان إلى الوليد أن يزيد بن المهلب عندي، وقد أمنته، فكتب الوليد لسليمان: لا والله لا أؤمنه، حتى تبعث به إليّ، فكتب إليه سليمان: «لئن أنا بعثت به إليك لأجيئنّ معه، فأنشدك الله ألاّ تفضحني، ولا أن تخفرني، فكتب إليه الوليد «والله لئن جئتني لا أؤمنه» فقال يزيد: «ابعثني إليه فوالله ما أحبُّ أن أوقع بينك وبينه عداوة وحربًا، ولا أن يتشاءم بي لكما الناس».

وكان الوليد طلب من سليمان أن يبعث يزيد بوثاق، فلما رأى سليمان أنّه لابدّ من إرسال يزيد إلى الوليد، أرسله إليه، وأرسل معه ابنه أيوب بن سليمان، وقال لابنه موصيًا: «إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة، ثم ادخلا جميعًا على الوليد، ففعل ذلك حتى انتهيا، إلى الوليد، فلما رأى ابن أخيه في سلسلة، قال: والله لقد بلغنا من سليمان! ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه إلىعمه، وقال: «يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك، لا تخفر ذمة أبي، وأنت أحق من منعها، ولا تقطع منّا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك، ولا تذل من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك، وقرأ الكتاب، ونصه: «لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك، أما بعد: يا أمير المؤمنين، فوالله إن كنتُ لأظنُّ لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك، فأنزلته

---

[١٦٢] انظر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ج٦، ٤٤٨-٤٥٢.

www.mtenback.com

وأجرته، أنّك لا تُذل جاري، ولا تخفر جواري، بله لم أجرْ إلاّ سامعًا مطيعًا حسن البلاء، والأثر في الإسلام، هو وأبوه وأهل بيته، وقد بعثت به إليك، فإن كنت إنما تغزو قطيعتي والإخفار لذمتي، والإبلاغ في مساءتي فقد قدرت إن أنت فعلت، وأنا أعيذك بالله من احتراد قطيعتي، وانتهاك حُرمتي، وترك بِرّي وصلتي، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدري ما بقائي وبقاؤك، ولا متى يُفرّق الموت بيني وبينك! فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره، ألاّ يأتي علينا أجل الوفاة إلاّ وهو لي واصل، ولحقي مؤدٍ، وعن مساءتي نازع، فليفعل. والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله فيها بأسرَّ مني برضاك وسرورك. وإنّ رضاك مما ألتمس به صلتي وكرامتي وإعظام حقي، فتجاوز لي عن يزيد، وكلُّ ما طلبته به فهو عليَّ».

فلما قرأ الكتاب، قال: «لقد شققنا على سليمان!» ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه، ثم أجلس يزيد، وأمّنه وعفا عنه.

لقد أسهبنا بعض الإسهاب في سرد هذه القصة، ويشفع لنا في ذلك أن في كل جزئية من أحداثها، وفي كلّ عبارة من عباراتها، يطالعنا إخلاص شديد، وتفانٍ منقطع النظير في الشفاعة، فكان سليمان يتوسل بكل وسيلة ويدل بكل دالّة، ويمتُ بكل ماتةٍ في سبيل الحصول على الأمان لمن استشفع به، وهذا برهان قاطع على النبل العربي، ودليل صادق على إحلال الشفاعة محلاً رفيعًا في سلم القيم العربية ومكارم الأخلاق.

ومن هذه الدوحة شفاعة معن بن زائدة لرجل لا يعرفه عند أبي جعفر المنصور[١٦٣]، وذلك أن المنصور أهدر دم رجل من أهل الكوفة لجناية جناها، وجعل لمن دلّ عليه، أو جاء به مئة ألف درهم، ثم إن الرجل ظهر في بغداد، فَبصُر به رجل من أهل الكوفة، فعرفه، فأخذ بمجامع ثيابه، وقال: هذا بغية أمير المؤمنين، وبينما الرجل

---

[١٦٣] محمد أحمد جاد المولى ورفيقاه: قصص العرب، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، (١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ج١، ص٢٥٦-٢٥٧.

www.mtenback.com

على هذه الحال، التفت فإذا معن بن زائدة، فاستغاث به، قائلاً: أجرني أجارك الله! فخلّصة معن من الرجل المتعلق به، وأخذه إلى بيته، وعندما احتج الرجل القابض عليه، وصرخ قائلاً: أيحال بيني وبين بغية أمير المؤمنين، قال له معن: اذهب إلى أمير المؤمنين، وقل له: إنه عندي.

ولما وصل الخبر إلى المنصور استشاط غضبًا، وأمر بإحضار معن في الساعة، فلما وصل أمر المنصور إلى معن، دعا أهل بيته ومواليه وأولاده وأقاربه وحاشيته، وقال لهم: أقسم عليكم ألا يصل إلى هذا الرجل مكروه أبدًا، وفيكم عين تطرف.

ثم سار إلى المنصور، فدخل وسلم عليه، فلم يرد عليه المنصور السّلام، وبادره قائلاً: يا معن أتتجرأ عليّ؟! قال: نعم يا أمير المؤمنين: فقال المنصور: ونعم أيضًا، وقد اشتد غضبه، فقال معن: يا أمير المؤمنين، كم من مرة تقدّم في دولتكم بلائي، وحسن غنائي، وكم من مرة خاطرت بدمي، أفما رأيتموني أهلاً لأن يوهب لي رجلٌ واحد استجار بي من بين الناس، بوهمه أنّي عبد من عبيد أمير المؤمنين، وكذلك أنا، فمر بما شئت، وهأنذا بين يديك!

فأطرق المنصور ساعة، ثم رفع رأسه، وقد سكن غضبه، وقال: قد أجرناه لك يا معن، فقال له معن: إن رأى أمير المؤمنين أن يجمع بين الأجرين، فأمر له بصلة أحياه وأغناه بها. فحملها معن وانصرف إلى بيته، فقال: للرجل: خذ صلتك والحق بأهلك؛ وإيّاك ومخالفة الخلفاء في أمورهم بعد هذه.

أرأيت مثل هذا الإخلاص في الشفاعة! أرأيت كيف عرّض نفسه وأهل بيته لخطر محدق! ثم كيف تلطّف في شفاعته متوسلاً بما له من أيادٍ عند الخليفة، وما له من حسن بلاء في دولته، مما هدأ من ثائرة الخليفة، فاستخلص منه العفو، وليس هذا فحسب بل طلب لصاحبه صلة. ثم جعل ذلك وسيلة ليقدم نصحه وإرشاده إلى الرجل، ليستقيم على جادة الهدى الصواب.

www.mtenback.com

ومن طريف ما يروى في هذا الباب أن الحجّاج بن يوسف استعمل خالد بن عتّاب علي الريّ، ثم إنه غضب عليه، فطلبه، ففر خالد إلى الشام، فكتب الحجاج إلى عبد الملك بما كان منه. ولما قدم خالد الشام، سأل عن خاصة عبد الملك، فقيل له: رَوح بن زِنباع، فأتاه، فقال: إنّي جئتك مستجيرًا، فقال: إنني أجرتك إلاّ أن تكون خالدًا، فقال: إنيّ خالدٌ فتغيّر، وقال: أنشدك الله إلاّ خرجت عني، فإنّي لا آمن عبد الملك. فخرج من عنده وأتى زُفر بن الحارث الكلابي، فقال: إنّي جئتك مستجيرًا، قال: قد أجرتك، قال: أنا خالد بن عتّاب. قال: وإن كنتَ خالدًا.

وكان زُفر قد أسنّ فدعا ابنين له، فتهادى بينهما، ودخل علي على عبد الملك، فقرب مجلسه، فقال زُفر: يا أمير المؤمنين، إني أجرتُ عليك رجلاً فأجره، قال: قد أجرته، إلاّ أن يكون خالدًا، قال: فهو خالد. قال: لا، ولا كرامة.

فقال زُفر لابنيه: أنهضاني، فلما ولى قال: يا عبد الملك، أما والله لو كنت تعلم أن يدي تطيق حمل القناة لأجرتَ من أجرتُ، فضحك عبد الملك، وقال: قد أجرناه، وأرسل إلى خالد بألفي درهم[١٦٤].

وإن كنّا نعجب لشهامة هؤلاء الشفعاء، وإخلاصهم وتفانيهم في شفاعاتهم، فالعجب كلّ العجب لأولئك الخلفاء وولاة الأمور الذين يتسمون بالحلم الكبير والكرم منقطع النظير، الذين كانوا يقدرون أولئك الشفعاء ويكرمونهم، فيشفّعونهم فيما قصدوهم منه، ومردُّ ذلك كله إلى سمو الخلق العربي واتصافه بمكارم الأخلاق، ورفيع القيم، ثم إلى ما غرسه الإسلام في النفوس من التخلق بالفضائل والخصال الحميدة من عفو وتسامح وكرم. وحرص على قضاء حوائج المحتاجين

ومن آداب الشفاعة التوسل بعذب الكلام وطيّبه، والتلطف بالطلب والاحتيال لقضاء الحاجة، والاحتجاج بروائع الحجج، قال: أحد الحكماء[١٦٥]: «اللطف في

---

[١٦٤] محمد أحمد جاد المولى: قصص العرب، ج١، ص٢٣٦-٢٣٧.

[١٦٥] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج١٥٣/٨.

www.mtenback.com

الحاجة أجدى من الوسيلة» وروى ابن حمدون في تذكرته[١٦٦]: «قال أبو إسماعيل: سألت إسحق بن إبراهيم المصعبي حاجة، فردّني، فقلت أيها الأمير، أفتأذن لي في إنشادك شعرًا؟ قال: نعم، فقلت:

لا يُؤيسَنَّكَ من كَريمٍ نَبْوَةٌ ... يَنْبُو الفَتَى وهو الجَوَادُ الخِضْرِمُ

فإذا نبا، فاسْتَبْقِهِ وتأنَّهُ ... حتى تَفِيْءَ به الطِّبَاعُ الأكْرَمُ

فضحك، وقضى حاجتي».

وسأل رجل رجلاً حاجةً، ثم توانى عن طلبها، فقال المسؤول: أنمتَ عن حاجتك؟ فقال: ما نام عن حاجته من أسهرك لها، ولا عدل بها عن محجّة النُّجح من قصدك بها، فعجب من فصاحته وقضى حاجته، وأمر له بمال جزيل[١٦٧].

ومن ذلك أن شُبْرُمَة دخل على عيسى بن موسى[١٦٨]، وسأله حوائج استكثرها، فقال له: أقضي لك نصفها، فقال: فما عذري عند الباقين من أربابها؟ قال فأقضي لك الثلثين، قال أيها الأمير، من أولى الناس بالجناية؟ قال جانيها، قال: فأنت الجاني إليَّ إذ أدنيتني وقربت مجلسي، حتى رغب الناس في حوائجهم إليَّ ورغبت إليك فيها، فإن قضيت الكلَّ، وإلاَّ فأقصني منك، حتى لا يأتوني ولا آتيك، فقضى حوائجه بأجمعها».

لقد سلك هذا الشفيع مسلكًا لطيفًا، باعتماده الحوار الهادئ، والمنطق السليم، والحجج المقنعة، حتى استطاع أن يبلغ كل مبتغاه.

ومن هذ الباب أن الواثق قال لابن أبي دؤاد تَضَجُّرًا بكثرة حوائجه: «قد أخليت بيوت الأموال بطلباتك للآذين بك، والمتوسلين إليك. فقال: يا أمير المؤمنين،

---

[١٦٦] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٥٨-١٥٩.

[١٦٧] الأبشيهي، المستطرف، ج١، ٣٦٠.

[١٦٨] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٥٥.

www.mtenback.com

نتائج شكرها متصل بك، وذخائرها موصولة لك، وما لي من ذلك إلا عشق اتصال الألسن بخلود المدح. فقال: والله لا منعناك ما يزيد في عشقك، ويقوّي في همتك فينا ولنا»[١٦٩].

وأحيانًا يتمثل طالب الحاجة برقيق الشعر، فيستميح بذلك كرم المقصود، ويحظى بحاجته، قال أبو جعفر الكرخي: عرضت على ابن الفرات رقعة في حاجة، فقرأها، ووضعها بين يديه، و لم يوقع فيها، فأخذتها، وقمت وأنا أقول متمثلاً من حيث يسمع:

وَإِذَا خَطَبْتَ إلى كَرِيمٍ حَاجَةً ... وأَبْى فلا تَعْقُدْ عَلَيْهِ بِحاجِبِ

فَلَرُبَّمَا مَنَعَ الكَرِيمُ وِما بِهِ ... بُخْلٌ ولكِنْ سُوءُ حَظِّ الطَّالبِ

فقال، وقد سمع ما قلت: ارجع يا أبا جعفر بغير شؤم الطالب هات رقعتك، فناولته إيَّاها. فوقّع بما أردته فيها»[١٧٠].

ومن أروع ما روي في التلطف في الشفاعة والاحتيال لها شفاعة محمد بن جعفر ابن عبيد الله بن العباس عند أبي جعفر المنصور، وسأنقلها كما رواها البغدادي في تاريخ بغداد[١٧١]، دونما اختصار، لأن أيّ تصرف فيها قد يفقدها روعتها وعظيم دلالتها، قال الخطيب البغدادي: «كان المنصور يعجب بمحمد بن جعفر بن عبيد الله ابن العباس بن عبد المطلب، يؤانسه ويفاوضه، ويداعبه ويلتذ بمحادثته، وكان أديبًا لبيبًا لسنًا، وكان لحسن منزلته من المنصور، وعظيم قدره عنده، يفزع إليه الناس في حوائجهم، فيكلمه فيها فيقضيها، حتى أكثر عليه من الحوائج وأفرط، فأمر الربيع أن

---

[١٦٩] الحصري، زهر الآداب، ج٢، ص٦٩٧.

[١٧٠] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٥٥.

[١٧١] أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج٢، ص١١١-١١٣.

www.mtenback.com

يحجبه، فلما حجبه قعد في منزله أيامًا، فظمئ المنصور إلى رؤيته وقرم إلى محادثته، فقال: يا ربيع إن جميع لذات مولاك، قد أخلقن عنده، وَرَثْنَ في عينه، سوى لذته من محادثة محمد بن جعفر، فإنّها تجدد عنده في كلّ يوم وليلة، وقد كدّرها علي بكثرة ما يحملني عليه من حوائج الناس، فاحتل لمولاك فيما كدّر عليه من لذاته، فقال الربيع: أفعل يا أمير المؤمنين، وخرج من عنده فأتى محمد بن جعفر، فعاتبه على ما يحمل المنصور عليه من حوائج الناس، وسأله إعفاءه من ذلك، فنضح عن نفسه فيما عاتبه عليه، وأجابه إلى ألا يسأله حاجةً لأحد، فأمره بالغدو على المنصور، ورجع إلى المنصور فأعلمه ذلك. وبلغ قومًا من قريش - قدموا العراق لحوائجهم - ما كان من أمر محمد بن جعفر ومن الربيع، وأنّه عازم على الغدو على المنصور وكتبوا حوائجهم في رقاع. ووقفوا بها على طريق محمد بن جعفر، فلما غدا يريد المنصور عرضوا له بها، ومتّوا إليه بقراباتهم، وتوسلوا بأرحامهم، وسألوه إيصال رقاعهم، والتماس نجاح ما فيها، فاعتذر إليهم، وسألهم أن يعفوه من ذلك، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه، وألحوا عليه، فقال: لست أكلم المنصور في حاجة لأحد من الناس، فإن أحببتم أن تودعوا رقاعكم كُمّي فافعلوا، فقذفوا رقاعهم في كمه، ومضى، حتى دخل على المنصور وهو في الخضراء مشرف على مدينة السلام، ودجلة والصراة وما حولهما من البساتين والمزارع، فعاتبه، فنضح عن نفسه، ثم حادثه ساعة، قال له المنصور: أما ترى حسن مستشرفنا هذا؟ قال أرى يا أمير المؤمنين فبارك الله لك فيما آتاك، وهنأك بإتمام النعمة عليك ما أعطاك، فما بنت العرب في دولة الإسلام، ولا العجم في مدة الكفر، مدينة أحصن ولا أحسن ولا أجمع للخصال المحمودة منها، وقد سَمّجتها في عينيّ يا أمير المؤمنين خصلة، قال: وما هي؟ قال: ليس لي فيها ضيعة، فتبسم وقال: فإني أحسنها في عينيك بثلاث ضياع أقطعك في أكتافها، فاغد على أمير المؤمنين يسجل لك بها. فقال أنت والله يا أمير المؤمنين سهل الموارد، كريم المصادر، فجعل الله باقي عمرك أكثر من

www.mtenback.com

ماضيه، فقد بررت فأفضلت، ووصلت فأجزيت، وأنعمت فأسبغت، فبدرت الرقاع من كمه وهو يتشكر له، فأقبل يردهن في كمّه، ويقول: ارجعن خاسئات، فضحك وقال: بحق أمير المؤمنين عليك لَمَا أخبرتَه خبر هذه الرقاع، فأعلمه، فقال أبيت يا بن معلم الخير إلاّ كرمًا، ففِ للقوم بضمانك، وألقها عن كمك لننظر في حوائجهم، فطرح الرقاع بين يديه، فتصفحها ثم دفعها إلى الربيع، ثم قال: قد قضى أمير المؤمنين حوائجهم، فَأَمَرَهُمْ بلقاء الربيع، قال محمد: فخرجت من عند أمير المؤمنين وقد ربحت وأربحت».

هذه واحدة من مواقف الاستشفاع، تجلت فيها آداب الشفيع والمشفّع، وانعكست فيها بعض الظروف التي غالبًا ما يتعرض لها الشفيع، لا سيما من ذويه وقرابته، إذا عرفوا مكانته من المشفّع، ومنزلته عنده، فإن نهض بحقهم ووصل إلى تحقيق مطلبهم عدوا ذلك حقًا عليه، وواجبًا لهم، وإن قصّر به جهده وجاهه، لم يعذروه، وقد يتهمونه بالتقصير، ويرمونه بما هو منه بريء، ولم يغفروا له ما ليس في مقدوره، كل ذلك ضريبة قربه من المسؤولية، وارتباطه بأهلها.

ومن أهم آداب الشفاعة خلوها من المنافع كالهدايا ونحوها، لأنَّ من شروط الشفاعة ألاَّ تكون بثمن وإلاَّ أصبحت رشوة، قال الماوردي[١٧٢]: «وبذل الجاه قد يكون من كرم النفس، وشكر النعمة، وضده من ضده، وليس بذل الجاه لالتماس الجزاء بذلاً مشكوراً، وإنَّما هو بائع جاهه، ومعاوض على نعم الله تعالى، وآلائه، فكان بالذم أحق».

وفي هذا المعنى يقول ابن الرومي[١٧٣]:

---

[١٧٢] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٥١-٢٥٢.

[١٧٣] أبو الحسن، علي بن العباس بن جريح: ديوان الرومي، تحقيق: حسن نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، مصر، (١٩٧٧م)، ج٤، ١٣٧٥-١٣٧٦.

www.mtenback.com

لا يَبْــذُلُ الرِّفْــدَ حــين يَبْذُلُــــهُ كَمشْــتَري الجُــودِ أو كَمُعْتَاضِـــهْ

بل يَفْعَـــلُ العُــرْفَ حــين يفْعَلــهُ لِجَوْهَــرِ الْعُــرْفِ لا لأَعْراضِـــه

وأنشد عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه(١٧٤):

وإذَا طَلَبْــتَ ثَــوَابَ مــا أوْلَيْتَــهُ فَكَفَــى بِــذَاكَ لِنَــائِلٍ تَكْدِيْـــرا

وجاء في عيون الأخبار(١٧٥): «من صنع المعروف لعاجل الجزاء، فهو كَمُلقــي الحبِّ ليصيد به الطير، لا لينفعه». وقد حَذَّرَ الرسول عليه الصلاة والسلام من قبــول الهدية لقاء الشفاعة، وجعل ذلك من الكبائر، فقال(١٧٦): «من شفع شــفاعة لأحــد، فأهدي له هديه فقبلها، فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الكبائر».

ولذلك كان الأشراف والوجهاء لا يقبلون أيَّ جزاء مادي لقاء شفاعاتهم، ولو غُلِّف بغلاف الهدية، جاء في التذكرة الحمدونية(١٧٧): «شفع مسروق بــن الأَجْــدَعِ لِرَجُلٍ شَفَاعَةً، فأهدى إليه جارية، فقال: لو أنَّ ذاك في نفسك، ما شفعت لــك، ولا أشفع فيما بقي من حاجتك، إني سمعت ابن مسعود رحمه الله يقول: من شفع شــفاعة ليردَّ بها حقًا، أو يدفع بها ظلمًا، فأُهدي إليه شيءٌ وقَبِلَهُ فذاك السحت، فقلت: يا أبــا عبد الرحمن: ما كنا نظن السحت إلاَّ الأخذ على الحكم، فقال عبد الله: الأخذ علــى الحكم كفر».

بل ذهب بعضهم إلى أن طالب الشفاعة هو الذي يستحق المكافأة؛ وذلك أنَّه لم يقصد الشفيع إلاَّ بعد تفكير طويل، وبعد أن اعتقد فيه الفضل الكبير والجاه العريــض،

(١٧٤) ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٥٣.

(١٧٥) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٩٧.

(١٧٦) المنذري، الترغيب والترهيب، ج٣، ص٣٩٥.

(١٧٧) ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٧١.

www.mtenback.com

وقدّمه على مَن سواه من الأشراف، قال ابن عباس[١٧٨]: «ثلاثة لا أكافئهم: رجل بدأني بالسلام، ورجل وسّع لي في المجلس، ورجل اغبّرت قدماه في المشي إليّ إرادة التسليم عليّ، فأما الرابع فلا يكافئه عني إلاّ الله عزّ وجلّ، قيل ومن هو؟ قال: رجل نزل به أمر، فبات ليلته يفكر بمن يُنزله ثم رآني أهلاً لحاجته، فأنزلها بي».

وأخيرًا، فإن كان موضوع الشفاعة أمرًا هينًا، وشأنًا صغيرًا، فهل يُقْصَد فيه إنسانٌ عظيم القدر، أم يقصد آخر أقل شأنًا؟ اختلف في ذلك، فبعضهم جعل جسام الأمور لذوي القدر العظيم، والمنزلة الرفيعة، وصغارها لمن هم أدنى مرتبة، فقد قيل: إن رجلاً، قال للعباس بن محمد: أتيتك في حاجة صغيرة، قال: فاطلب لها رجلاً صغيرًا، وقال آخر للأحنف بن قيس: أتيتك في حاجة لا ترزؤك ولا تنكؤك. قال: إذن لا تُقضى، أمثلي يؤتى فيما لا يرزأ ولا ينكأ[١٧٩].

وثمة فريق آخر يلبي الحاجات صغيرها وكبيرها، حقيرها وخطيرها، جاء رجل إلى علي بن عبد الله بن العباس، فقال له: إنّي أتيتك في حاجة صغيرة، فقال له علي: هاتها، إن الرجل لا يصغر عن كبير أخيه، ولا يكبر عن صغيره[١٨٠].

وقصد آخر رجلاً، فقال له: أتيتك في حاجة، قال: اذكرها، فإن الحرّ يقوم بصغير الحاجات وكبيرها[١٨١]. إلا أنه ينبغي ألا يؤخذ معنى الصغر على إطلاقه، فقد يكون هدف المستشفع تهوين الأمر في عين الشفيع، وتجريئه للقيام به، وقد يحس هو في نفسه بعظم ذلك الأمر، لكنه لا يرى إزعاج الشفيع قبل أن يعلم قدره وخطره بنفسه، فالذي يهون موضوع الشفاعة قدرة الشفيع، وصفح الشافع أو قبوله الشفاعة، وقد

---

[١٧٨] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٩٧.

[١٧٩] انظر القرطبي: بهجة المجالس، ص٣٢١.

[١٨٠] انظر ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٥٣.

[١٨١] انظر القرطبي: بهجة المجالس، ص٣٢١.

www.mtenback.com

يكون الموضوع سهلاً حقيرًا، والمشفع كبير القدر، لكن الذي يملك قضاءه جعله جليلاً وخطيرًا، وأسبغ عليه هالة من التضخم فلا يقضى، بسهولة.

دوافع الشفاعة:

ثمة دوافع كثيرة تدفع بالإنسان إلى أن ينهض بقضاء حاجات قاصديه، ويشفع لهم عند ذوي السلطان أو غيرهم ممن يلتمسون عندهم تحصيل نفع أو دفع ضر، أو حصول عفوٍ وتسامح ومن أهم تلك الدوافع ما يستشعره الشفعاء من حصول الثواب والأجر في قضاء حوائج المحتاجين، وتفريج همومهم، فقد روي عن الرسول عليه السلام أنّه قال[١٨٢]: إنَّ لله خلقًا خلقهم لحوائج الناس، يفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله عز وجل».

وأخرج النسائي في سننه عن معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله ﷺ قال[١٨٣]: «اشفعوا تؤجروا».

وأخرج السيوطي في الجامع الصغير[١٨٤] عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «أفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سرورًا».

فأي شيء يدخل السرور على قلب المؤمن أكثر من أن ينهض أخ له، فيقضي حاجته بعد أن تعسرت، وأوصدت دونه الأبواب، وسدّت أمامه السبل، وهل هناك ما يدخل السرورفي قلب المؤمن، أكثر من أن يشفع له شافع عند ذي سلطان فيجلب له نفعًا، أو يزيل عنه ضرًا.

---

[١٨٢] المنذري، الترغيب والترهيب، ج٣، ص٣٩٠

[١٨٣] النسائي، أحمد بن شعيب بن علي: سنن النسائي، اعتنى به ووضع فهارسه عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ج٥، ص٧٨.

[١٨٤] السيوطي، الجامع الصغير، ج١، ص٤٩.

www.mtenback.com

فالإنسان الذي يرجو هذا الثواب العظيم، ينهض وهو طيب النفس في الشفاعة لمن يراهم أهلاً للشفاعة من مظلومين أو مهضومي الحقوق. ولهذا نجد الوجهاء والأعيان يندفعون إلى الشفاعة طلبًا للثواب، فكان الحسن البصري يقول[١٨٥]: «لأن أقضي حاجة أخٍ لي أحبُّ إلي من أن أعتكف سنة».

ومن دوافع الشفاعة استشعار الشفيع أن في السعي في قضاء حوائج الناس والشفاعة لهم، دوامًا لنعم الله عليه، فقد روي عن النبي ﷺ، أنه قال[١٨٦]: «ما عظمت نعمة الله عز وجل على عبد إلاَّ اشتدت إليه مؤونة الناس، ومن لم يحمل تلك المؤونة للناس، فقد عرَّض تلك النعمة للزوال».

وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام[١٨٧]: «إن لله عند أقوام نعمًا أقرها عندهم، ما كانوا في حوائج المسلمين ما لم يَملُّوهم، فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم»

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله[١٨٨]: «إنَّ لله عبادًا يخصهم بالنعم لمنافع العباد فيقرها في أيديهم ما بذلوها، فإن منعوها نزعها منهم ثم حولها إلى غيرهم».

ففي الشفاعة وقضاء الحوائج تحصين للنعم، ودوام للجاه، كل ذلك بالبذل ينمو ويزيد، وبالمنع ينقص ويبيد.

ومما يدفع إلى الشفاعة أن الشفيع يعلم أنه إذا ما تقلبت الأحوال وتصرف الدهر – وهو ذو تقلب – فإنه واجد لا محالة من يشفع له، أو يقضي حاجته إن احتاج إليها،

---

[١٨٥] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٨، ١٥٣.

[١٨٦] المنذري: الترغيب والترهيب، ج٣، ص٣٩١.

[١٨٧] المنذري: الترغيب والترهيب، ج٣، ص٣٩٠.

[١٨٨] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٥٣.

www.mtenback.com

فقد روي أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال لكميل بن زياد النّخَعي[١٨٩]: «يا كميل مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، ويدلجوا في حاجة من هو نائم، والذي وسع سمعه الأصوات، ما من أحد أودع قلبًا سرورًا إلاّ وخلق الله له من ذلك السرور لطفًا، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره، حتى يطردها عنه، كما تطرد غريبة الإبل».

وكان ابن عباس يقول[١٩٠]: «صاحب المعروف لا يقع، فإن وقع وجد متكأً» وروي عن الرسول عليه السلام قوله[١٩١]: «المعروف إلى الناس يقي صاحبه مصارع السوء والهلكات».

ولذلك كان الشعراء يدعون إلى المبادرة بتقديم المساعدة والعون والمسارعة في قضاء حوائج المحتاجين، ليكون ذخيرة لمواجهة تقلبات الزمن الغادر، قال الشاعر[١٩٢]:

وأَكْرِمْ كَرِيمًا إنْ أَتَاكَ لِحَاجَةٍ لعَاقِبَةٍ إنَّ العَضَاةَ تَرَوَّحُ

وفي هذا البيت إشارة لطيفة، وإلماحة بديعة، يقول المبرد[١٩٣]: «الشجر يصيبه النّدى في آخر الصيف، فينشأ له ورق، فيقول: لعلك تحتاج إلى هذا الكريم وقد قَدر».

وفي هذا المعنى يقول عباد بن عَبّاد بن المهلّب[١٩٤]:

إِذَا خَلَّةٌ نَابَتْ صَدِيقَكَ فَاغْتَنِمْ مَرَمَّتَهَا فَالدَّهرُ بالنَّاسِ قُلَّبُ

---

[١٨٩] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٥٣.

[١٩٠] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٩٦.

[١٩١] أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، بيروت، دار الكتاب العربي، ج١، ص١٢٤.

[١٩٢] انظر أبا العباس المبرد، الكامل، ج٢، ص٦٦.

[١٩٣] أبو العباس المبرد: الكامل، ج٢، ص٦٦.

[١٩٤] أبو العباس المبرد: الكامل، ج٢، ص٦٦٣.

www.mtenback.com

وبادِرْ بِمَعْـرُوفٍ إذا كُنْـتَ قـادِرًا ... زَوَال اقْتِدارٍ أو غِنىً عَنْـكَ يُعْقِـبُ

ومثل ذلك قول الآخر[١٩٥]:

أَرَى دُولاً هـذا الزَّمَـان بأَهْلِـهِ ... وَبَيْنهـم فيـه تَكُـونُ النَّوائـبُ

فلا تَمْنَعَنْ ذَا حاجَـةٍ جَـاءَ طالِبًـا ... فَإِنَّكَ لا تَدْري مَتَى أَنْـتَ طَـالِبُ

ولهذا كله كان الأشراف والوجهاء لا يكلّون ولا يملون من السعي في الشفاعة وقضاء الحوائج، ولا يتذرعون بالذرائع التي تعفيهم من ذلك، ذكـر أعرابـيٌ رجـلاً فقال[١٩٦]: «كان والله إذا نزلت به الحوائج قام إليها، ثم قام بها، ولم تقعد به عـلات النفوس».

ومن أهم دوافع الشفاعة ما جبل عليه الإنساني العربي من أريحية واهتزاز لمعالي الأمور، ومكارم الأخلاق، فهناك كثيرون يطربون لقضاء حوائج الناس، والشفاعة لهم، ويجدون فيها متعة أيّ متعة، وسروراً لا يضاهيه سرور، فـإنَّهم ينشـطون ويهـتزون للشفاعة، وتفريج هموم المهمومين، جاء في العقد الفريد[١٩٧]: «قـال إبراهيـم بـن السِّندي قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها، كان لا يَجِفُ لِبْدُهُ، ولا يستريح قلبه، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال، وإدخال المرافق علـى الضعفـاء، وكان رجلاً مفوهًا، فقلت له: أخبرني عن الحالة التي خفَّفَت عنك النصب، وهَوَّنـت عليك التعب في القيام بحوائج الناس ما هي؟ قال: قـد والله سمعـتُ تغريـد الطـير بالأسحار، في فروع الأشجار، وسمعت خَفْق أوتار العيدان، وترجيع أصوات القيـان، فما طربت من صوت قط طربي من ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد أحسـن،

---

[١٩٥] صدر الدين علي بن أبي الفرج البصري: الحماسة البصرية، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتـب، بيروت، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ج٢، ص٢٦.

[١٩٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص١٥٢.

[١٩٧] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ح١، ص٢٣٤.

www.mtenback.com

ومن شكر حُرّ لمنعم حُرّ، ومن شفاعة محتسب لطالب شكر، قال إبراهيم: فقلت له: لله أبوك! لقد حشيت كرمًا» وفي هذا المعنى يقول الشاعر[١٩٨]:

وما رَوْضَةٌ عِلْوِيَّةٌ أَسَدِيَّةٌ ... مُنَمْنَمَةٌ زَهراءُ ذاتُ ثَرىً جَعْدِ

سَقَاها النَّدى في غَفْلَةِ الدَّهْرِ نَوْءُهَا ... فَنَوَّارُها يَهْتَزُّ كالكَوْكَبِ السَّعْدِ

بأَحْسَنَ من حُرٍّ تَضَمَّنَ حاجَةً ... لِحُرٍّ فَأَوْفَى بالنَّجاحِ وبالرِّفْدِ

ولهذا جعل بعضهم يوم قضاء حوائج المحتاجين من خير الأيام وأفضلها، يقول أبو العتاهية[١٩٩]:

واقْضِ الحَوائجَ ما اسْتَطَعْ ... تَ وكُنْ لِهَمِّ أَخِيكَ فارِجْ

فَلَخَيْرُ أَيَّامِ الفَتَى ... يَوْمٌ قَضَى فيه الحَوَائجْ

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرى أن الشفاعة مطلب خلقي تمليه مكارم الأخلاق، حتى وإن كان الشفيع لا ينتظر ثوابًا ولا يخشى عقابًا، فقد كان يقول[٢٠٠]: «يا سبحان الله! ما أزهد كثيرًا من الناس في الخير، عجبت لرجل يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كنّا لا نرجوا جنةً، ولا نخافُ نارًا، ولا ننتظر ثوابًا ولا نخشى عقابًا، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق، فإنها تدلُّ على سبيل النجاة».

فمكارم الأخلاق دافع قوي. ومحرض شديد على النهوض بالشفاعة، فتجعل المرء ينشط للقيام بحوائج قاصديه، فكان مسلمة بن عبد الملك إذا كثر عليه أصحاب

---

[١٩٨] القرطبي: بهجة المجالس، ج٢، ص١٢٤.

[١٩٩] شكري فيصل: أبو العتاهية، شعره، أخباره، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، (١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) ص٩١.

[٢٠٠] أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ج١٧، ص٢٧٩.

www.mtenback.com

الحوائج، وخشي الضجر، أمر أن يحضر ندماؤه من أهل الأدب فتذاكروا مكارم الأخلاق في الناس وجميل طرائقهم، ومروءاتهم، فيطرب ويهيج، ثم يقول: ائذنوا لأصحاب الحوائج، فلا يدخل عليه أحدٌ إلاّ قضى حاجته»[٢٠١].

ومثل ذلك ما جاء في التذكرة الحمدونية[٢٠٢]: «قال محمد بن علي الشطرنجي سألني رجلٌ أن أسأل رجلاً من آل سليمان بن وهب كتاباً إلى مالك بن طوق في حاجة له، فصرت إلى الرجل، وسألته ذاك، فقال: نعم وكرامة، فقلت: تأذن لي أعزك الله في البكور إليك مسلماً ومذكراً؟ فقال: افعل ما بدا لك، وجئته من غدٍ سحراً، فألفيت دابته مسرجة على بابه، فقلت لغلامه: ما خبره؟ قال: ادخل فدخلت، فوجدته جالساً على حصير صلاته بثياب ركوبه، وسلمت عليه، وقلت: أحسبك تريد الركوب في حاجتي، فقال: غفر الله لك! قد مضيت فيها وقد قضيتها، وأعطاني الكتاب الذي سألته إياه، وهو على سحاءة[٢٠٣]، قوقفت عليه، وكان على غاية التأكيد، ودعوت له، فقال لي أتدري ما الذي حدَاني على ذلك يا أبا جعفر؟ فقلت: إن رأيت أن تعلمني، فقال: بيتان لبعض الشعراء، رويتهما وتأدبت بهما، وهما:

أَبُوكَ الذي أَعْطَى على الحَمْدِ مَالَهُ ... وَحَازَ المَعَالِي واحْتَوَتْهُ المكارِمُ

يَرُوحُ إلى جَمْعِ المَنَاقِبِ والعُلَى ... ويُدْلِجُ في حَاجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمُ

فهذا نمط فريد من البشر، يرون السعي في قضاء حوائج الناس ضرباً من الواجب الذي ألزموا أنفسهم به، وروضوها عليه، فكانوا يطربون ويخفّون إلى ذلك ما وجدوا إليه سبيلاً، جاء في عيون الأخبار[٢٠٤]: «قال بعضهم: مضى لنا سلف أهل تواصل،

---

(٢٠١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٢، ص١٩٠.

(٢٠٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٥٦.

(٢٠٣) السحاءة: ما يشدُّ به الكتاب. انظر القاموس (س).

(٢٠٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص٢٠٣.

www.mtenback.com

اعتقدوا مننًا، واتخذوا أيادي ذخيرة لمن بعدهم، كانوا يرون اصطناع المعروف عليهم فرضًا، وإظهار البر حقًا وواجبًا».

ثم يذكر هذا القائل ما آلت إليه الأمور، من تغيّر في القيم والأخلاق، إذ أصبحت العلاقات المادية هي المسيطرة في تعاملات أفراد المجتمع كتعاملات السوق التي تقوم على الأخذ والعطاء، فقال[٢٠٥]: «ثم طال الزمان بنشء اتخذوا مننهم صناعة، وبرهم مرابحة، وأياديهم تجارة، واصطناع المعروف مقارضة، كنقد السوق خذ مني وهات». كان هذا في عصر ابن قتيبة الذي ينظر إليه على أنه أفضل من عصرنا الحاضر، فكيف بنا اليوم وقد تغيرت مفاهيم القيم، ومقومات الأخلاق، وطغت الحياة المادية على العلاقات الاجتماعية، فانبتّ منها ما كان متصلاً، وأصبح الحديث عن بعض القيم نوعًا من ترف المجالس، وربما بدا الطبع السليم والخلق الكريم غريبًا في خضم الأخلاق السائدة والبدائل الاجتماعية التي طغت على الفطرة الحسنة.

وهذا يتنافى مع الأخلاق العربية السامية، ويتناقض مع القيم الإسلامية الرفيعة، وهي ظاهرة طارئة على المجتمع العربي الذي أحلّ مكارم الأخلاق، ومعالي الأمور محلاً رفيعًا إذ كانت هي التي توجه تصرفاته، وهي المعيار الصادق والمرجعية المقدسة لكلّ أعماله.

فالعربي الذي نشأ على مكارم الأخلاق، وتشرّب روح الإسلام الذي بارك تلك الأخلاق السامية، لا يعدل بإسداء المعروف واصطناعه أيّ منفعة مادية مهما عظمت، فابن عباس رضي الله عنهما يقول[٢٠٦]: ما رأيت أحدًا أسعفته في حاجة إلاّ أضاء ما بيني وبينه، ولا رأيت رجلاً رددته عن حاجةٍ إلاّ أظلم ما بيني وبينه.

---

[٢٠٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص٢٠٣.

[٢٠٦] المبرد الكامل، ج٢، ص٦٦٣.

www.mtenback.com

أما جعفر بن محمد فكان يقول[٢٠٧]: إن الحاجة تعرض للرجل قِبَلي فأبادر بقضائها مخافة أن يستغني عنها، أو تأتيه وقد استبطأها فلا يكون لها عنده موقع».

بل إن حبّ المعروف واصطناعه كان قد بلغ في نفس جعفر هذا مبلغًا، جعله يبادر إلى قضاء حوائج أعدائه، فكان يقول[٢٠٨]: «إني لأسارع إلى حاجة عدوي خوفًا من أن أرده، فيستغني عني».

وَتَأَصُّلُ حب المعروف، ومتعة قضاء الحوائج في نفوس بعضهم تجعلهم يبادرون إلى الشفاعة من غير أن تُطلب منهم. جاء في بدائع السلك[٢٠٩]: «قال المبارك بن فضالة: وفدت على أبي جعفر المنصور، فكنت عنده، إذ أُتي برجلٍ، فأمر بقتله، فقلت: يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر؟! فقلت: يا أمير المؤمنين ألا أحدثك بحديث سمعته من الحسن قال: وما هو؟ قلت سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد، حيث يسمعهم الداعي، وينفذ البصر، فيقوم منادٍ، فيقول: من له عند الله تبارك وتعالى يد؟ فلا يقوم إلاّ من عفا، فقال: والله لسمعته من الحسن. فقلت له: والله لسمعته منه، فقال: خلوا عنه.

وسائل الاستشفاع:

للاستشفاع وسائل وسبل من أشهرها الاستشفاع بالشعر وذلك أنَّ العربي مجبول على الاهتزاز للشعر، والطرب له، يستثير فيه مكامن النبّل، ومعادن المثل الرفيعة، ويبعث فيه الأريحية للبذل والعطاء والجود والسخاء، ولهذا كان الناس كثيرًا ما يتوسلون بالشعر، ويستشفعون به، وغالبًا ما يكون ذلك الشفيع الذي لا يُردّ، وكتب الأدب

---

[٢٠٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ١٩٦.

[٢٠٨] المبرد، الكامل، ج٢، ص٦٦٣.

[٢٠٩] محمد بن الأزرق الأندلسي: بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ج١، ص٤٤٦.

www.mtenback.com

ودواوين الشعر حافلة بالشعر الذي كان شفيعًا في قضايا جسيمة وأمور عظيمة، وقد نجحت شفاعته في ذلك.

وقصة كعب بن زهير واستشفاعه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام بقصيدة البردة أشهر من أن تذكر، وذلك أنه بعدما أسلم أخوه بجير، قال كعب أبياتًا ينهاه عن الإسلام، فذكر ذلك للرسول عليه السلام، فأوعده، فأرسل بجيرٌ إليه: «ويلك! إن النبيَّ أوعدك وهو قاتلك، أو تأتيه فتسلم. فاستطير ولفظته الأرض على حد قول ابن سلام[٢١٠]، وتبرأ منه القرباء قبل الغرباء، وضاقت عليه الأرض الرحبة، وأصبح وحيدًا بلا نصير، وقد صور كعب نفسه هذه الحال بقوله[٢١١]:

وقال كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ آمُلُهُ ... لا أُلْهِيَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ

ثمَّ بعد ذلك، يأتي إلى رسول الله ﷺ متنكرًا، وينشده قصيدته المعروفة:

بانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ ... مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لم يُفْدَ مَكْبُولُ

والتي يقول فيها:

نُبِّئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي ... والعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

فأمَّنه الرسول عليه السلام، وعفا عنه، بل زاد في إكرامه، وكساه، بردته[٢١٢].

وقصة استشفاع الحطيئة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالشعر مشهورة معروفة[٢١٣]، وذلك أن الحطيئة هجا الزبرقان بن بدر، فاستعدى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسجنه في بئر، فنسج أبياتًا يستعطف فيها أمير المؤمنين، وهي تفيض

---

[٢١٠] ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٩٩.

[٢١١] ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص١٠٠.

[٢١٢] ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص١٠٠-١٠٣.

[٢١٣] ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص١١٦-١١٧.

www.mtenback.com

رقة وعذوبة وانكسارًا، فقد صور أطفاله بالأفراخ الصغيرة التي لا تقوى على الطيران لتحصيل قوتها، فلابدّ لهم من كاسب يسعى عليهم. وليس ثمة كاسب إلاّ هو، وقد أصبح رهين الحبس، فقال[٢١٤]:

مَاذا تَقُولُ لأَفْرَاخٍ بِذِي مَرَخٍ ... حُمْرِ الحَوَاصِلِ لا مَاءٌ ولا شَجَرُ

أَلْقَيْتَ كاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... فاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ يا عُمَرُ

أَنْتَ الأَمِينُ الذي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ ... أَلْقَتْ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النُّهَى البَشَرُ

لم يُؤْثِرُوكَ بها إذ قدَّمُوك لَهَا ... لكِنْ لأَنْفُسِهِم كَانَتْ بِهَا الإِثَرُ

فَرَقَّ له عمر رضي الله عنه وأخرجه من البئر، وعفا عنه.

وربما سرى تأثير الشعر في النفوس عند من لا يعرفون الشاعر، فيصل بحلاوة شعره إلى الظفر بمراده وتلك هي الحكمة في الشعر.

جاء في ربيع الأبرار[٢٠٧]: «قال المبرد: أتاني رجل لأستشفع له في حاجة، فأنشدني لنفسه:

إِنِّي قَصَدْتُكَ لا أُدْلِي بِمَعْرِفَةٍ ... وَلاَ بِقُرْبَى، ولكِنْ قَدْ فَشَتْ نِعَمُكْ

فَبِتُّ حَيْرانَ مَكْرُوبًا يُؤَرِّقُنِي ... ذُلُّ الغَرِيبِ ويُعْشِيني الكَرَى كَرَمُكْ

ما زِلْتُ أَنْكَبُ حتى زُلْزِلَتْ قَدَمِي ... فاحْتَلْ لِتَثْبِيتِها لا زُلْزِلَتْ قَدَمُكْ

فَلَوْ هَمَمْتَ بِغَيْرِ العُرْفِ ما عَلِقَتْ ... به يَدَاك ولا انْقَادَتْ له شِيَمُكْ

فقال المبرد[٢١٥]: فَشَفَعْتُ له وأنلتهُ من الإحسان ما قَدِرت عليه.

---

[٢١٤] الحطيئة: ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص١٩١.

[٢٠٧] الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٢، ص٤٩٨.

[٢١٥] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص١٢٧.

www.mtenback.com

وكثيرًا ما كان يُخفِقُ الشفعاء، فلا يُشَفَّعون فيأتي الشعر شفيعًا فلا تُرَدُّ شفاعته، من ذلك أنَّ عمر بن هبيره – وكان واليًا على العراق – حبس الفرزدق، وأَبَى أن يُشَفِّعَ فيه أحدًا، وكان أطلق سراح رجل مسجون من عِجْل، شفعت فيه بكر بن وائل، فدخل أبو نُخيْلة على الأمير في يوم فطر، فوقف بين يديه، وأنشده[٢١٦]:

أَطْلَقْتَ بالأمْسِ أَسِيرَ بَكْرِ
مِن سَبَبٍ أو حُجَّةٍ أو عُذْرِ
تُنْجِي التَمِيمِيَّ القَلِيلَ الشُكْرِ
مِنْ حِلَقِ القَدِّ الثِّقَالِ السُّمْرِ
هَبْهُ لأَخْوالِكَ يَوْمَ الفِطْرِ

فأمر ابن هبيرة بإطلاقه.

لقد أراد أبو نخيلة بشفاعته تلك أن يصنع معروفًا إلى الفرزدق وأن تكون له يد عنده، فالفرزدق معروف بسموه وشموخ قبيلته، إلا أن الفرزدق أحس في إطلاقه بسبب تلك الشفاعة إهانة له، وذلك أنه لما خرج، سأل عمّن شفع له، فأُخبر، فرجع إلى الحبس، وقال: لا أَرِيمُهُ ولو مِتُّ، أيُطْلَقُ قبلي بكري، وأخرج بشفاعة دَعِيٍّ؟ والله لا أخرج هكذا أبدًا ولو من النار. فأخبر بذلك ابن هبيرة، فضحك، ودعا به فأطلقه، وقال وهبتك لنفسك[٢١٧].

ولما للشعر من تأثير في النفوس، فتهتز وتطرب لنبيل الأعمال من كرم وعفو، كان أصحاب الحوائج يقصدون الشعراء ليشفعوا لهم. من ذلك أن تميم بن زيد

---

[٢١٦] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٨٩-١٩٠.

[٢١٧] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٨٩-١٩٠.

www.mtenback.com

القضاعي، غزا الهند وكان في جيشه رجلٌ يقال له خُنَيْس، فلما طالت غيبته عن أمه اشتاقته، فسألت عمن يُكلم تميمًا ليردَّ إليها ابنها، فقيل لها عليك بالفرزدق، فلما أتته وكلمته بحاجتها، كتب إلى تميم الأبيات التالية[٢١٨]:

وَلِي في بِلادِ الهِنْدِ عِنْدَ أَميرِها حَوَائِجُ جَمَّاتٍ، وَعِنْدي ثَوَابُها
تميمُ بنَ زَيْدٍ لا تكُونَنَّ حاجَتي بِظَهْرٍ فَلاَ يَعْيَا عليَّ جوابُها
وَهَبْ لِي خُنَيْسًا واحْتَسِبْ فيه مِنَّةً لِغَيْرَةِ أمٍّ ما يَسُوغُ شَرَابُها
أَتَتْني فَعاذَتْ يا تَميمُ بِغَالِبٍ وبالحُفْرَةِ السَّافي عَلَيْهَا تُرابُهَا
وقد عَلِمَ الأَقْوَامُ أنَّكَ ماجِدٌ وَلَيْثٌ إِذا مَا الحَرْبُ شَبَّ شِهَابُها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك في الاسم، فقال: أَحُبَيْش أم خُنَيْس؟ ثم قال: انظروا من له مثل هذا الاسم في عسكرنا؟ فأصيب ستةٌ ما بين حُبَيْش وخُنَيس، فوجه بهم إليه[٢١٩].

ومن طريف الاستشفاع بالشعر، ما قاله البحتري، وذلك أنَّه كانت له حاجة عند عبد الله بن المعتز، فوعده بقضائها، ولم ينجزها، فاستشفع إليه بوالده، فقال[٢٢٠]:

يا واحِدَ الخُلَفاءِ غَيْرَ مُدافَعٍ كَرَمًا، وَأَحْسَنَهُمْ نَدىً وَصَنيعا
أَنْتَ المُطَاعُ فإنْ سَأَلْتَ رَغِيبَةً أَلْفَيْتَ لِلْرَّاجي نَدَاكَ مُطِيعَا
إِنّي أُرِيدُكَ أَنْ تَكُونَ ذَرِيعَةً في حَاجَتِي وَوَسِيلَةً وشَفِيعا
ما سَاهَا، أَحَدٌ سِوايَ، خَلِيفَةً في النَّاسِ مَرْئِيًا ولا مَسْمُوعا

---

[٢١٨] ديوان الفرزدق، تحقيق: إيليا حاوي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ج١، ص١٤٤-١٤٥، وانظر: المبرد الكامل، ج٢، ص٦١١-٦١٢.

[٢١٩] المبرد، الكامل، ج٢، ص٦١٢.

[٢٢٠] ديوان البحتري، ج٢، ص١٣٠٩.

www.mtenback.com

لَوْ لَمْ أَمُــــتُّ بهــا إِلَيْــكَ بَديعَــةً   ما كُنْتَ في كَـــرَمِ الفِعــالِ بَديْعــا

فلما سمع المعتز الشعر قال لابنه عبد الله: يا عبد الله اقض حاجـــــة البحــتري، فقضاها.

ومثل ذلك ما قاله ابن الرومي يشفع في أخيه[٢٢١]:

يا ليتَ شِــعْرِي والحَــوَادِثُ جَمَّــةٌ   هَلْ تَشْتَكي دَهْري وَأَنْتَ صَديقــي

وشِــكايَتِي الأَيَّــامَ دون شِــكايَتِي   إِنْ خانَني عِنْــدَ النُّهُــوضِ فَريْقــي

إنــي أَعُــوذُ بمــا تَــأَكَّد عقْــدُهُ   بيــني وبَيْنَــكَ أن تُضيــعَ شَــقَيْقِي

أَو أَنْ يَجُورَ به الزَّمَانُ علــى الغِنَــى   أو بي وأَنْــــتَ طَرِيقُــهُ وَطَرِيقــي

ومن ذلك أيضًا أن دعبل الخزاعي دخل على عبد الله بن طــاهر ببغــداد، في حاجة، فأنشد بين يديه[٢٢٢]:

جِئْــتُ بِــلاَ حُرْمَــةٍ ولا سَــبَبٍ   إِلَيْــــكَ إلاَّ بِحُرْمَــــةِ الأَدَبِ

فــاقْضِ ذِمَــامِي، فَــإِنَّني رَجُــلٌ   غَــيْرُ مُلِــحٍّ عَلَيْــكَ في الطَّلَــبِ

وربما قدم الشفيع العذر للمشفّع، ومنحة فرصة المنع والمنح، وذلك أسلوب عال في تأدبه، بالغ في هدفه، وغالبًا ما يفوز صاحبه بطلبه، من ذلك أنَّ سوار بن عبــد الله ابن سِوار القاضي كانت له حاجة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر، فكتب إليه[٢٢٣]:

لَنا حاجَــةٌ، والعُــذْرُ فيهــا مُقَــدَّمٌ   خَفيفٌ مُعَنَّاهــا مُضَاعَفَــةُ الأَجْــرِ

فــإن تَقْضِهــا فــالحَمْدُ للهِ رَبِّنــا   وَإِنْ تَكُنِ الأُخرَى ففي أَوْسَعِ العُــذْرِ

(٢٢١) ديوان ابن الرومي، ج٤، ص١٦٩٦.

(٢٢٢) شعر دعبل، ص١٥٢.

(٢٢٣) القرطبي: بهجة المجالس، ج١، ص٣٢١.

www.mtenback.com

على أنّــه الرَّحْمَــنُ مُعْــطٍ ومــانِعٌ ... وللْرِزْقِ أســبابٌ إلى قَــدَرٍ يَجْــرِي

فأجابه محمد بن عبد الله:

فَسَلْها تَجِدْنـــي مُوجبًــا لِقَضائِهــا ... سَــرِيعًا إلَيْهــا لا يُخــالِطُني فِكْــرُ

ومن أعذب شعر الشفاعة وأرَقّه ما صدح به ابن زيدون وهو في سجنه يستشفع به إلى أبي حزم بن جَهْور، حيث أنشد عددًا من القصائد يتوسل فيها إليه من ذلـــك قوله[٢٢٤]:

لا تَلْهَ عَنّي، فَلَمْ أَسْــأَلْكَ مُعْتَسِــفًا ... ردَّ الصّبا بَعْدَ إيفْــاءٍ علــى الكِــبَرِ

هَبْني جَهِلْتُ فَكَــانَ العِلْــقُ سَــيِّئَةً ... لا عُذْرَ مِنْها سِوى أنّي مــن البشَــرِ

إنّ السِّــيادَةَ بالإغْضَــاءِ لابِسَــةٌ ... بَهاءَها. وبهــاءُ الحُسْــنِ في الخَفَــرِ

لــك الشَّــفاعَةُ، لا تُثْنَــي أَعِنَّتُهــا ... دونَ القَبُولِ بَمقْبــولٍ مــن العُــذُر

فاشفعْ أَكُنْ مثلَ مَمْطُــورٍ بِبَلْدَتِــه ... جَذْلانَ بــالوَطَنِ المَــأْلوفِ والمَطَــرِ

ومثل ذلك قوله[٢٢٥]:

إيــهِ «أَبَــا الحَــزْمِ» اهْتَبِــلْ غُــرَّةً ... أَلْسِــنَةُ الشُــكْرِ عَلَيْهــا فِصــاحْ

واشْــفَعْ فَللشــافِعِ نُعْمَــى بمــا ... سَنَّاه مِــنْ عَقْــدٍ وَثِيــقِ النَّــواحْ

وكذلك قوله[٢٢٦]:

هي النَّعْلُ زَلَّت بي، فَهَلْ أنتَ مُكْذِبٌ ... لِقيلِ الأَعادِي إنَّهــا زَلَّــةُ الحِسْــلِ

---

[٢٢٤] ديوان ابن زيدون، تحقيق: علي عبد العظيم، مكتبة نهضة مصر بالفجّالة، القاهرة، مصر، (١٩٥٧م)، ص٢٦٠.

[٢٢٥] ديوان ابن زيدون، ص٢٤٩.

[٢٢٦] ديوان ابن زيدون، ص٢٧٠-٢٧١.

www.mtenback.com

وهلْ لَكَ في أنْ تَشْفَعَ الطَّوْلَ شافِعًا   فَتُنجِحَ مَيْمونَ النَّقيبةِ أوْ تُتْلي

غير أن الحساد والوشاة، أوغروا صدر أبي حزم عليه، فحشوه حقدًا وغضبًا، فلم تؤثر فيه تلك الأشعار البديعة ولا القصائد الفريدة، ولم تثن جموح غضبه، أو تزيل حسائك أضغانه وتهمد نار شحنائه، مع أنه استعطفه بكل ما يستل مكامن الأحقاد، ويستأصل جذور الإحن والعداوات.

وعندما يئس من عفو ابن جهور، عمد إلى الاستشفاع بأستاذه أبي بكر النحوي، لعله يحصل له على عفو من أبي حزم، فقال[٢٢٧]:

عَلَيْكَ أَبَا بَكْرٍ بَكَرْتُ بِهِمَّةٍ   لها الخَطَرُ العالي، وإنْ نَالَها حَطُّ

وحِلْمُ امْرِئٍ تَعْفُو الذُّنوبُ بِعَفْوِه   وتُمْحَى الخَطَايا مثْلَ ما مُحِيَ الخَطُّ

فَمالَكَ لا تَختَصُّني بِشَفَاعَةٍ   يَلُوحُ على دَهْرِي لَمِيسَمِها عَلْطُ

ولكن هيهات هيهات، لقد كان قلب ابن حزم مشحونًا بالكره والبغضاء والحقد على الشاعر الحزين، فلم تُجد كل هاتيك الشفاعات ولا تلك التوسلات، وعندما أوصدت أمامه أبوابها، لم يجد بُدًّا من الهرب من السجن فعاش طريدًا شريدًا حتى وفاة ابن حزم[٢٢٨].

ومن أطرف ما قيل في هذا الباب وأروعه، قول صفي الدين الحِلّي[٢٢٩]:

زَجَرَتْني عنِ التَّشَفُّعِ نَفْسٌ   مِنَنُ النَّاسِ عِنْدَها كالمَنُونِ

لم أَكُنْ جاعِلاً شَفِيعي إلاَّ   عَفْوكَ المُرْتَجَى وحُسْنَ ظُنُونِي

---

[٢٢٧] ديوان ابن زيدون، ص٢٨٨-٢٩٢.

[٢٢٨] انظر علي بن بسام، الذخيرة في محاسن الجزيرة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م)، القسم الأول، م١، ص٣٥٧.

[٢٢٩] ديوان صفي الدين الحلي، (دار صادر، بيروت، لبنان)، ص٦١٣.

www.mtenback.com

كَيْفَ أستَنْجِدُ الشَفَاعَةَ مِن قَوْ ... مٍ هُمُ في المَقَامِ عِنْدَك دُونِي
لَيْسَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْـ ... ـئًا ولا هُم مِن بَأْسِكُمْ يُنْقِذونِي

فواضح أن صفي الدين، يريد أن يجعل ممن قصده في قضاء حاجته، شافعًا ومُشَفّعًا في آن واحد، ويحاول أن يستثير همته في تلبية مطلبه، بما رآه برهانًا ساطعًا، وحجة مقنعة، تُثبتُ صحة توجهه، وهذا قريب مما قاله ذلك الرجل لبعض الولاة؛ وإن جاء في أسلوب مباشر لا صنعة فيه، حيث قال(٢٣٠): «إن الناس يتوسلون إليك بغيرك، فينالون معروفك، ويشكرون غيرك، وأنا أتوسل إليك بك ليكون شكري لك لا لغيرك».

وكما كان للشعر دوره في الشفاعة، فكذلك كان للنثر دوره أيضًا، فقد كان الشفعاء كثيرًا ما يسطرون كتبًا ووسائل يشفعون بها لأصحاب الحاجات وطالبي العون والمعروف، فكان منها المختصر البليغ الذي يتخذ طابع التوصية وهو ما عرف عند الولاة بالتوقيعات، حيث تتصف بقصرها وبلاغتها، ووصولها إلى الهدف، من ذلك ما رواه الزمخشري بقوله(٢٣١): «سأل رجل سعيد بن عبد الملك كتاب شفاعة، وهو راكب، فكتب وهو على ظهر دابته: «كتابي كتابَ مَعْنيٍّ بمن كتب فيه، واثق بمن كتب إليه، ولن يضيع حامله بين العناية والثقة والسلام».

ومن ذلك ما كتبه عمرو بن مسعدة إلى المأمون، يشفع لرجل بالزيادة في منزلته، وجعل كتابه تعريضًا(٢٣٢): «أما بعد فقد استشفع بي فلان يا أمير المؤمنين ـ لِتَطَوُّلِكَ

(٢٣٠) الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٢، ص٥٠٠.

(٢٣١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ج٢، ص٥٠٣.

(٢٣٢) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ج٣، ص٥١١-٥١٢، والتطول: التفضل.

www.mtenback.com

عليّ ـــ في إلحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون به، وأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين، وفي ابتدائه بذلك تَعدّي طاعته، والسلام».

فكتب إليه المأمون: «فقد عرفنا توطئتك له، وتعريضك لنفسك، وأجبناك إليهما، ووافقناك عليهما».

أرأيت جمال البلاغة، وروعة الفصاحة، وأثرهما في النفوس الكريمة، فقد حصل عمرو على ما يريده لنفسه، وما يطلبه لمن استشفع به.

ومن تلك الكتب المختصرة التي جاءت على صورة توصيه ما كتبه أحمد بن يوسف يشفع لرجل من أصحابه[٢٣٣]: «إنّي بفلان تَامّ العناية، وله شديد الرعاية، وكنت أحبُّ أن يكون ما أرعيتَه طرفك من أمره في كتابي، مستودَعًا سمعك من خطابي، فلا تعدلنّ بعنايتك إلى غيره، ولا تمنحنّ تَفَقُّدَك سواه، حتى تنيله إرادته، وتتجاوز به أُمنيته، إن شاء الله».

ومن ذلك أيضًا ما كتبه الجاحظ يشفع لآخر[٢٣٤]: «أما بعد، فإنّ فلانًا أسبابه متصلة بنا، يلزمنا ذمامه، وبلوغ موافقته من أياديك عندنا، وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته، فأوْلنا فيه ما يعرفُ به موقفنا من حسن رأيك، ويكون مكافأةً لحقه علينا».

ومنها ما كان مطولاً، مُنَمَّقًا، ترصعه آيات البلاغة، وتجمله غرر الفصاحة، كالرسالة التي كتبها: الصاحب أبو القاسم بن عبّاد إلى أبي عليّ الحسن بن أحمد، في شأن أبي عبد الله بن حامد يقول فيها[٢٣٥]:

«كتابي هذا صَدَرَ عن محبة،وقد أرخى الليل سدوله، وسحبَ الظلام ذيوله، ونحن على الرحيل غدًا إن شاء الله، إذا مدَّ الصباح غُرَرَه، قبل أن يَسْيغ حجوله، ولولا

---

[٢٣٣] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٤، ص٤٥٧-٤٥٨.

[٢٣٤] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٤، ص٥٨.

[٢٣٥] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٦٧-١٦٨.

www.mtenback.com

ذاك لأطلته وقوف الحجيج على المشاعر، و لم أقتصر منه على زاد المسافر، فإن المُتَحَمِلَّ له وسيع الحقوق لديّ، حقيق أن أُتْعِب له خاطري ويديّ، وهو أبو عبد الله الحامدي، أعزه الله. وكان وافانا مع ذلك الشيخ الشهيد أبي سعيد الشَّبيبيّ رفع الله منازله وقتل قاتله، يكتب له، فآنسنا بفضله، وأنسْنا الخير من عقله، فلما فجع بتلك الصحبة وما كان له فيها من القُرْبة، لم يَرض غير جناني مَرْتعا، وقطع إليّ الطريق الشاقّ مؤكدًا حقًا لا يُشَقُّ غُباره، ولا ينسى على الزمان ذماره، وكنت على جناح النهضة التي لم تَسْتَقِر نواها، و لم تلق عصاها، وإحراجُ الحر المبتدأ الأمر، القريب العهد بوطأة الدهر، تحاملٌ عليه بالمركب الوعر، فرددته إليك يا سيدي لتُسَهِّلَ عليه حجابك، وتمهد له جنابك، وترصد له عملاً خفيف الثقل، نديَّ الطلّ، فإذا اتَّفقَ عرضته عليه، ثم فوضته إليه، وهو إلى أن يتفق ذلك ضيفي وعليك قراه، وعندك مَرْبَعُهُ ومَشْتَاه، ويريد اشتغالاً بالعلم يزيده في الاستغلال إلى أن يأتيه خبرنا في الاستقرار، ثم له الخيار إن شاء أقام على ما وليته، وإن شاء لحق بنا ناشرًا ما أوليته. وقد وقعت له إلى فلان بما يعينه على بعض الانتظار إلى أن تختار له - أيدك الله - كل الاختيار. فأوعز إليه بتعجيله، واكفني شغل القلب بهذا الحرّ الذي أفردني بتأميله، إن شاء الله تعالى».

ومن تلك الكتب أيضًا ما سطّره بديع الزمان الهمذاني إلى بعض الرؤساء يشفع فيه بإطلاق رجل محبوس عنده، فكتب[٢٣٦]: «الشيخُ ــ أطال الله بقاءه ــ إذا وصل يدي بيده، لم ألمس الجوزاء إلاَّ قاعدًا، وقد ناطها مِنَّةً في عُنُق الدهر، وصاغها إكليلاً لجبين الشكر. وما أقصرَ يدي عن الجزاء، ولساني عن الثناء! وهذا الجاهل قد عرف نفسه، وقلع ضرسه، ورأى ميزان قَدْره، وذاق وبال أمره. وجهَّز إليَّ كتيبة عجائز عاجزات، فأطلقن العويل والأليل، وبعثني شفيعًا إليّ، واستعنَّ بي عليّ، وتوسلْن بكلمة الاستسلام، ولحمة الإسلام في معنى هذا الغلام، فإن أحبَّ الشيخ أن يجمع في

---

[٢٣٦] الحصري، زهر الآداب، ج٢، ص٩٢٠.

www.mtenback.com

الطَّوْل إزاء الحوض إلى العفر، وينظم في الفضل ما بين الروض والمطر، شفَّع في إطلاقه مكارمَهُ، وشرَّف بذلك خادمه، وأبجزنا بالإفراج عنه، مُوَفَّقًا إن شاء الله تعالى».

لقد سلك البديع في كتابه هذا مسلكًا بديعًا، فاستهله بالثناء على الشيخ وبيان سمو مكانته، ثم اعتذر عن المحبوس بالجهل، وأنّه لاقى جزاء ما جنته يداه، وبعد ذلك تحدّث عن تلك العجائز اللواتي قصدنه للشفاعة بالبكاء والنحيب، ثم ختم الكتاب بأن مكارم الشيخ، ونبل أخلاقه هي التي ستشفع لهذا العاني الأسير.

وأحيانًا كانت كتب الشفاعة وسطًا، ليست بالمختصرة المبتسرة، ولا بالمطوَّلة الممتدة، لكنها كانت تشرق بالبلاغة الناصعة والفصاحة الساطعة، كالكتب التي طرزّها الصابي، فكان يستعطف المشفَّعَ بكل مقال، يحل سخائم الأحقاد، ويستلطفه بما يرد الصعب سلس القياد، مع حجة قاطعة تثني عنان عطفه، وتستل أضغان نفسه من ذلك كتابه عن عز الدولة بختيار بن بويه إلى مؤيد الدولة بويه بن ركن الدولة يشفع فيه لابن العميد، لما قبض عليه، ونص الكتاب[٢٣٧] هو: «وهذا غلام أفسدته سجيةُ ركن الدولة الشريفة في شدة الاحتمال والصبر على الإدلال، ما اجتمع له إلى ذلك التغلب في نعمة حازها حيازة وارث لها، ولم يكدح في تأثيلها، ولا مَسَّهُ النصب في تثميرها، ولا اهتدى إلى طريق استبقائها، ولا تحرّز عن دواعي انتقالها، ومن ألزم اللوازم في حكم الرعاية أن نحفظه من سكر نعمة نحن سقيناه كأسها، وأن نعذره عند هفوة قد شاركناه في اتخاذ أسبابها، وأن تكون نفسه محروسه، والبقية من ماله بعد أخذ فضلها المفسد له متروكة، وأن يتحدث الناس أن سيّدي الأمير أصاب غرض الحزم في القبض عليه، ثم طبّق مفْصَل الكرم في التجاوز عنه».

ومن ذلك كتابهُ في الشفاعة إلى أبي تغلب بن حمدان لأخ له[٢٣٨]: «وقد يكون لعمري في ذوي الأرحام الشابكة، والقرابات الدانية، من يتمادى في العقوق، ويذهب

---

[٢٣٧] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٦٨-١٦٩.

[٢٣٨] ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج٨، ص١٦٨-١٦٩.

www.mtenback.com

عن حفظ الحقوق، ولا يَسَعُ ترك تألّفه حتى يرجع، واستصلاحه حتى يَنْزِع، فإن تجشم الإغراض عنه لرياضة تُقْصد، أو عاقبة نفع تُحمد، ولم يبلغ به إلى قطع المعيشة ومنع المادة، لأن قباحة ذلك لمن يستعمله أكثر من مضرّته لمن يعمل معه، وقد قيل: إن الملوك تعاقب بالهجران ولا تعاقب بالحرمان، هذا في الأتباع والأصحاب، وهو ألزم بالأقران والأتراب».

تأصيل الشفاعة الحسنة:

لقد تبين، من خلال ما تقدم أهمية الشفاعة في حياة الفرد والمجتمع على حدّ سواء، وظهرت فوائدها جلية في الرحمة والتعاون والتعاطف، مما يؤدي إلى استقرار المجتمع وتوازنه ومثاليته، وهذا يدعونا إلى تأصيل ذلك الخلق النبيل في نفوس ناشئتنا، وإحياء هذه القيمة الاجتماعية الرفيعة، في زمن طغت عليه القيم المادية، فأصبحت العلاقات الاجتماعية شبيهة بعلاقات السوق، أخذ وعطاء، وتبادل المنافع فحسب، وتوارت خلف ذلك العلاقات الإنسانية، واندحر كثير من مكارم الأخلاق.

هذه الحال تدفعنا إلى أن نبحث عن سبل ووسائل لإحياء هذه القيمة الخلقية العالية، ولغرسها في نفوس أجيالنا، وإنّ أفضل الوسائل وأنجح السبل، لبلوغ مثل هذا الهدف هو القدوة الحسنة. والقدوة الحسنة هي المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل، وهذا المثال الواقعي قد يكون مثالاً حسيًا مشاهدًا ملموسًا، يقتدى به، وقد يكون مثالاً حاضرًا في الذهن بأخباره وسيره، وصورة مرتسمة في النفس، بما أثر عنه من سير وقصص وأنباء من أقوال أو أفعال[٢٣٩].

هذه القدوة الحسنة ينظر إليها بإعجاب وتقدير شديدين، ما يحفز إلى تقليد هذه القدوة ومحاكاتها في أخلاقها وسلوكها وتصرفاتها، وعن طريق التقليد والمحاكاة تكتسب الفضائل ومكارم الأخلاق.

---

[٢٣٩] انظر عبد الرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية، ج١، ص٢٠٣.

www.mtenback.com

ويمكننا أن نجعل هذه القدوة قائمة في أذهان أجيالنا من خلال مناهجنا الدراسية على مختلف مستوياتها، وبوساطة وسائلنا الإعلامية المتنوعة من مقروءة ومسموعة ومرئية، ويكون ذلك بإيراد قصص الشفاعة وأخبار الشفعاء، وكيف كان الأشراف والوجهاء ينهضون بها، وكيف كان ولاة الأمور على مختلف درجاتهم يكرمون الشفعاء، ويلبون طلباتهم بقضاء حوائج المحتاجين.

فمثل هذا يغرس في نفوس الناشئة هذا الخلق النبيل، لأن في الإنسان ميلاً طبيعيًا وقويًا إلى المحاكاة والتقليد، حيث تتحول هذه المحاكاة إلى عادة، ثم تصبح خلقًا مؤثلاً في النفس.

إنَّ إبراز هذه القيمة بصورة فضيلة خلقية يمارسها ذوو الهمم العالية، والنفوس الكريمة وذوو الهيئات، له أثر فعال في محاولة اكتسابها والتخلق بها، لقد مر معنا قول ذلك الرجل الشريف[٢٤٠] الذي كان يسعى في شفاعات الناس وأن الذي حداه إلى ذلك بيتان من الشعر هما:

أَبُوكَ الذي أَعْطَى على الحَمْدِ مالَهُ ... وحَازَ المَعَالِي واحْتَوَتْهُ المَكارِمُ

يَروح إلى جَمْعِ المناقِبِ والعُلَى ... وَيُدْلِجُ في حَاجَاتِ مَنْ هو نائِمُ

إن تأثير هذين البيتين عائدٌ إلى أنهما يرسمان نموذجًا لإنسان حاز العلى وتسنَّم ذرى المجد، بما نذر نفسه لقضاء حوائج الناس وتفريج همومهم، ومن ثم أصبح قدوة حسنة ومثالاً يحتذى في خلقه، وكريم أفعاله.

ومرَّ معنا أيضًا[٢٤١] أن مسلمة بن عبد الملك كان إذا كثر عليه أصحاب الحوائج، تذاكر مع ندمائه من أهل الأدب، مكارم الأخلاق، فيطرب ويهيج، فلا يدخل عليه صاحب حاجة إلاَّ قضاها.

---

[٢٤٠] انظر ما تقدم ص٦٩.

[٢٤١] انظر ما تقدم ص٦٨.

www.mtenback.com

فمذاكرة مكارم الأخلاق هنا ما هي إلا تصوير للقدوة الحسنة، وتجسيد للنموذج الرفيع، من الرجال الذين تحلّوا بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، فكأنها تضع أمامه قدوة حسنة، ينهج نهجها، ويحتذي أسلوبها. ولذلك فهو يطرب ويهيج لاكتسابه تلك الفضائل والمكارم، حيث يقتفي أثر تلك النماذج البشرية الرفيعة.

إن توجيه مناهجنا الدراسية، وبرامجنا الإعلامية إلى إبراز هذه القدوة الحسنة من خلال النصوص الأدبية الرفيعة من قصص وأخبار وأشعار، تدور حول الشفاعة يكون منهجًا عمليًا في تأصيل هذه القيمة الخلقية في النفوس، واكتسابها وإحلالها المحل الرفيع في سلم القيم والأخلاق، ومن ثم ممارستها ممارسة فعلية، ولنتذكر دائمًا قول أبي تمام[٢٤٢]:

ولولا خِلَالٌ سَنّها الشّعْرُ ما دَرَى بُغاةُ النّدَى مِنْ أَيْنَ تُؤتَى المَكَارِمُ؟

والأمر الآخر والمهم في تأصيل الشفاعة وممارستها، هو التدريب العملي عليها، والاقتداء بالقدوة الحسية المشاهدة الملموسة، أسوة برسولنا الكريم ﷺ، إذ كان يعلّم أصحابه وجلساءه – رضوان الله عليهم جميعًا – هذا الخلق النبيل فكان عليه السلام إذا جاءه صاحب الحاجة، يتريث بعض الشيء في قضائها، ليفسح المجال لجلسائه ليشفعوا لصاحب الحاجة، وما ذاك إلا تدريب عملي على هذه القيمة الخلقية الرفيعة، أخرج مسلم في صحيحه عن أبي موسى قال[٢٤٣]: كان رسول الله ﷺ، إذا أتاه طالب حاجة، أقبل على جلسائه فقال: «اشفعوا فَلْتُؤجروا، وليقض الله على لسان نبيه ما أحبَّ» وفي رواية النسائي عن معاوية بن أبي سفيان[٢٤٤]: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليسألني الشيء فأمنعه حتى تشفعوا فيه، فَتُؤْجروا».

---

[٢٤٢] ديوان أبي تمام، ج٣، ص١٨٣.

[٢٤٣] مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ج٤، ص٢٠٢٦.

[٢٤٤] النسائي، سنن النسائي، ج٥، ص٧٨.

www.mtenback.com

وحرصًا من الرسول عليه السلام في تعليم الناس خلق الشفاعة، فإنه كان عليه السلام إذا ما جاءه طالب الحاجة، يوجهه إلى أن يتقدم إليه عندما يجتمع الناس فيطلب حاجته، بل كان يلقنه ما يجب أن يقوله، من ذلك ما رواه ابن هشام في السيرة[٢٤٥]. أنّه بعد انصرَاف المسلمين من الطائف، وكان معهم سبيٌ كثير من هوازن قدم وفد هوازن على الرسول عليه السلام في الجِعْرانَة، فقام أحدهم وقال: «يا رسول الله، إنّما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك، اللاتي كن يكفُلْنك، ولو أنّا مَلَحْنا للحارث ابن أبي شمرٌ، أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه، وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين». فلما سمع عليه السلام مقالته، قال لهم: «إذا ما أنا صليت الظهر بالناس، فقوموا فقولوا: إنّا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم».

وعندما فعلوا ما أمرهم عليه السلام به، قال: «وأمّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ».

وهكذا أعطاهم ما طلبوا بعدما لقنهم ولقن المسلمين درسًا عظيمًا في الشفاعة.

فما أجدرنا أن نقتفي آثار الرسول عليه السلام، ونقتدي بهديه، فنواظب على هذه القيمة الخلقية الاجتماعية في مجالسنا الخاصة والعامة، وفي مؤسساتنا الاجتماعية الأخرى، لتصبح الشفاعة خلقا متأصلاً في النفوس، فتكون رحمة للضعفاء وتكريمًا للشفعاء.

وقبل ختام الحديث في هذا الموضوع، لابد من كلمة أخيرة:

إنّ الشفاعة وشيجة رحم وعامل ربط وتواصل بين أفراد المجتمع على مختلف طبقاته وفئاته، فلا تباغض ولا تحاسد، ولا تشاحن ولا ضغائن، بل رحمة وتآزر، وتعاون وتضامن. وهذه كلها عوامل قوة، وبواعث ازدهار في الأمة.

---

[٢٤٥] ابن هشام، السيرة، ق٢، ص٤٨٨-٢٨٩.

www.mtenback.com

أما إذا فُقدت مثل هذه الروابط الاجتماعية، صارت الأمة منحلة متفككة، لأنها فقدت قوتها الجماعية، وحلت محلها قوة الأفراد التي سرعان ما تنذر بالهلاك والدمار.

فالشفاعة صمام أمان في المجتمع، تقيه من عوامل التفكك والانهيار، وهي عنصر رحمة وأمان، تؤدي إلى تواشج المجتمع وتماسكه وازدهاره. فالضعيف يشعر في ظلها بالطمأنينة، والراحة النفسية، إذ يعلم أنّه ليس وحيداً في خضم هذه الحياة، تتقاذفه هواجس الخوف والضياع والحرمان، بل هناك من أبناء جلدته من يمدُّ له يد العون المعنوي، فيوصل صوته إلى ذوي الأمر، فيشفع له ويقضي حاجته، ويلبي مبتغاه. وأما ذوو الجاه والشرف، فيشعرون أن عليهم واجباً تجاه المحتاجين، فيلزمون أنفسهم بالسعي في حوائجهم، والشفاعة لهم، فيكسبون ودَّهم، وينالون احترامهم، فيصبح المجتمع كله كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرتضى بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ.... الآية﴾	١٧٨	٣٨
	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه... الآية﴾	٢٥٥	١٦
النساء	﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا.. الآية﴾	٨٥	١٤، ٣٥
الأعراف	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ... الآية﴾	١٩٩	٣٦
يونس	﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِه.... الآية﴾	٣	١٦
طه	﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ... الآية﴾	١٠٩	١٦
الذاريات	﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ... الآية﴾	٤٩	٩
الفجر	﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ.... الآية﴾	٣	٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«أتشفع في حدٍّ من حدود الله...»	٣٩
«اشفعوا تؤجروا... »	٥٩
«أفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سروراً...»	٥٩
«أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لا جاه له....»	٢٥
«أفضل الصدقة صدقة اللسان، قيل: يا رسول الله وما صدقة....»	٢٥
«أفلا كان هذا قبل أن تجيء به، ثم قال رسول الله ﷺ: «اشفعوا ما لم...»	٤٠
«أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلاّ حدّاً من حدود الله...»	٣٩
«إنّ أحب الأعمال إلى الله تعالى....»	٢٤
«إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه...»	٢٥
«إن الرجل ليسألني الشيء فأمنعه حتى تشفعوا فيه، فتُؤجروا...»	٥٠
«إنما أنا أشفع...»	٣٦
«إن لله عند أقوام نعماً أقرها عندهم، ما كانوا في حوائج المسلمين.....»	٦٠
«إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس، هم الآمنون من عذاب الله...»	٢٣
«القرآن شافعٌ مُشَفَّعٌ....»	١٣
«...كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً...»	١٧
«كلُّ نبيّ سأل سؤالاً، أو قال: لكل نبيّ دعوة قد دعا بها فَاستُجيب....»	١٦
«... لو راجعته...»	٣٦
«ما عظمت نعمة الله عز وجل على عبد إلاّ اشتدت إليه مؤونة الناس...»	٦٠
«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى...»	١٧
«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمُهُ، ومن كان في حاجة أخيه...»	٢٣
«المعروف إلى الناس يقي صاحبه مصارع السوء والهلكات...»	٢٥

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها...»	١٥
«من شفع شفاعة لأحد، فأهدي له هديه فقبلها....»	٥٧
«من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان لمنفعة بر...»	٢٥
«والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه...»	٢٣
«يا أيها الناس، إنما ضَلَّ مَنْ قبلكم...»	٣٩
«يا عباس، ألاَ تعجب من حبّ مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثاً...»	٣٦

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ء ـ		
أأذكر حاجتي	الحياء	أمية بن أبي الصلت	٢	٤٥
دع عنك	الداء	أبو نواس	١	١٤
		ـ ب ـ		
إذا خلة	قلبُ	عباد بن عباد بن المهلب	٢	٦١
أرى	النوائبُ	ـ	٢	٦٢
ولي في بلاد	ثوابها	الفرزدق	٥	٧٠
إني كأني	مكذوبِ	النابغة الذبياني	٥	١٩
وإذا خطبت	بحاجبِ	أبو جعفر الكرخي	٢	٥٤
جئت	الأدبِ	دعبل الخزاعي	٢	٧١
		ـ ج ـ		
واقضِ	فارجْ	أبو العتاهية	٢	٦٣
		ـ ح ـ		
إيهِ أبا الحزم	فصاحْ	ابن زيدون	٢	٧٢
ما كان	الأشباحُ	ـ	١	٩
وأكرم	تروحُ	ـ	١	٦١
إذا توسلت	النجاحِ	ـ	٢	٢٨
		ـ د ـ		
وشافع	ولدْ	ـ	١	٧
لما رأيت	بلّدوا	رؤية بن العجاج	٤	٢٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
لا تطلبن	كالقاعدِ	ــ	١	٤٢
ما روضة	جَعْدِ	ــ	٣	٦٣
ــ ر ــ				
وإذا طلبت	تكديرا	ــ	١	٥٧
إذا الشافع	الشكرُ	ــ	١	٤٨
ماذا تقول	ولا شجرُ	الحطيئة	٤	٦٨
فسلها	فِكْرُ	محمد بن عبد الله بن طاهر	١	٧٢
فككت	جحدر	حاتم الطائي	٢	١٢
أضاعوني	ثَغْرِ	ــ	١	٣٢
أطلقت	بكرِ	أبو نخيلة	٦	٦٩
لنا حاجة	الأجرِ	سوار بن عبد الله بن سوار	٣	٧١
لا تله	الكِبَرِ	ابن زيدون	٥	٧٢
ــ ض ــ				
لا يبذل	كمعتاضِه	ابن الرومي	٢	٥٧
ــ ط ــ				
عليك	حطُّ	ابن زيدون	٣	٧٣
ــ ع ــ				
واستشفعت	شفعا	الأعشى	١	١٢
يا واحد	صنيعا	البحتري	٥	٧٠
وما كان	تابع	ــ	١	٨
إذا حضرت	الشفائع	قيس بن العيزارة الهذلي	١	٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
مضى	شفيع	ــ	١	١٣
أتاك	شافع	النابغة الذبياني	١	١٤
كأن	شفعوا	الأحوص	١	١٤
إن امرأ	فاصطنع	حاتم الطائي	١	٢٠
تخلّ	الضياعِ	طريح بن إسماعيل الثقفي	٢	٤٥
ــ ق ــ				
إنّك	خلقْ	القطامي	١	٤٣
شفيعك	يخلقُ	دعبل الخزاعي	١	٤٧
ما من صديق	طبقِ	ــ	٣	٣٩
يا ليتَ	صديقي	ابن الرومي	٤	٧١
ــ ك ــ				
وعطاءُ	عطاؤك	البحتري	١	٢٢
إنّي قصدتك	نعمك	ــ	٤	٦٨
وإذا طلبتَ	ملولا	ــ	٢	٤٥
ولا تستعينّ	مثلها	ــ	٢	٤٣
ولا تعتذر	الشغلُ	ــ		٤٦
وقال	مشغول	كعب بن زهير	٣	٦٧
وإذا امرؤ	ماله	ــ	١	٢٢
ما زلت	حيلي	كلثوم بن عمرو العتّابي	٢	٤٨
هي النعل	الحسلِ	ابن زيدون	٢	٧٢
وكنت	الدراهمُ	ــ	٢	٢٨
وإذا طلبت	التسليمُ	ــ	٢	٤٥
لا يؤيسنّك	الخضرمُ	ــ	٢	٥٣

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
أبوك	المكارم	—	٢	٤٦، ٧٩
ولو خلال	المكارم	أبو تمام	١	٨٠
ما أرسل	درهمِ	—	٢	٢٨
مشيت	غطفانَ	سعد بن حيان التميمي	٢	١٩
زجرتني	كالمنون	صفي الدين الحلي	٤	٧٣
أنزلت	باللهِ	—	٣	٤٨
إذا تغديتُ	نفسي	—	٣	٣١

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«إذا أحببت أن تطاع، فاسأل ما يستطاع»	٤٣
«بذل الجاه أحد الحِباءَين»	٢٢
«بذل الجاه أحد المالين»	٢٢
«بذل الجاه زكاة الشرف»	٢١
«بزند الشفيع تورى نار النجاح»	٢٧
«حسن البشر مخيلة النجح»	٤٦
«الشفاعات زكوات المروءات»	٢١
«الشفيع جناح الطالب»	٢٦
«فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها»	٤٢
«لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها»	٤٢
«اللطف في الحاجة أجدى من الوسيلة»	٥٢

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح الأبشيهي المحلّي:

المستطرف في كل فنّ مستظرف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

ابن الأثير:

أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

ابن الأزرق، محمد بن الأزرق الأندلسي:

بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: د. محمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٣٩٧/١٩٧٧.

الأصفهاني، أبو الفرج:

الأغاني، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

الأصفهاني، الراغب الأصفهاني:

مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت.

الأحوص الأنصاري:

شعر الأحوص، جمع وتحقيق: إبراهيم السامرّائي، مكتبة الأندلس، بغداد، العراق، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

الأعشى، ميمون بن قيس:

ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الأدب بالجماميز، القاهرة، مصر.

www.mtenback.com

أمية بن أبي الصلت:

شرح ديوان أمية بن أبي الصلت، قدم له: سيف الدين الكاتب، وأحمد عصام الكاتب، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

البحتري:

ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط١.

البخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل:

صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

البخاري، صدّيق بن حسن بن علي الحسين القنوحي البخاري:

فتح البيان في مقاصد القرآن، عنى بطبعه وقدّم له: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر.

ابن بسام، علي:

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

البستي، أبو حاتم محمد بن حبّان:

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج الحسن:

الحماسة البصرية، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

www.mtenback.com

البغدادي، أحمد بن علي الخطيب:

تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي:

السنن الكبرى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، حيدر آباد الدكن، ١٣٥٤هـ.

أبو تمام:

ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزّام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٤.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل الثعالبي:

التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

جاد المولى، محمد أحمد وزميلاه:

قصص العرب، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

حاتم الطائي:

ديوان حاتم الطائي، جمع: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، لبنان.

الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري:

المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

www.mtenback.com

حبنكة، عبد الرحمن حبنكة الميداني:

الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

ابن حجة الحموي، أبو بكر علي بن محمد:

ثمرات الأوراق، صححه: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط١.

ابن حزم:

كتاب الأخلاق والسير، ترجمته إلى الفرنسية: السيدة ندى توميش، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، لبنان، ١٩٦١م.

الحصري، إبراهيم بن علي، الحصري القيرواني:

زهر الآداب وثمر الألباب، شرح: علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

الحطيئة:

ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

الحلّي، صفي الدين:

ديوان صفي الدين الحلّي، دار صادر، بيروت، لبنان.

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي:

التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس، وبكر عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان.

www.mtenback.com

الدّار قطني، علي بن عمر:

سنن الدار قطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يمان المدني، دار المحاسن للطباعة، القاهرة، مصر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

دعبل بن علي الخزاعي:

شعر دعبل الخزاعي، صنعة: عبد الكريم الأشتر، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا.

رضا، الشيخ أحمد رضا:

معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.

رضا، محمد رشيد رضا:

تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٣هـ.

ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج:

ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، مصر ١٩٧٧م.

الزبيدي، محمد مرتضى بن الحسين:

تاج العروس من جواهر الفاموس، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

الزمخشري، محمود بن عمر:

ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: سليم النعيمي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، العراق.

ـ أساس البلاغة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٨٥م.

www.mtenback.com

ابن زيدون:

ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق: علي عبد العظيم، مكتبة نهضة مصر بالفجّالة، القاهرة، مصر.

ابن سلام، محمد بن سلاّم الجمحي:

طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود محمد شاكر.

السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين:

شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة، القاهرة، مصر.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:

الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.

الصابوني، محمد علي:

صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

الطبري، محمد بن جرير:

تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٢.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي:

العقد الفريد، شرح أحمد أمين وزميليه، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

علي الجندي وزميلاه:

سجع الحمام في حكم الإمام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٦٧م.

www.mtenback.com

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا:

معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، ١٣٦٨هـ.

الفرزدق:

ديوان الفرزدق، تحقيق: إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:

ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

ـ القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

الفيصل، شكري:

أبو العتاهية، شعره وأخباره، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، سوريا، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري:

عيون الأخبار، شرحه وعلق عليه: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن حمد بن عبد البر النمري:

بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري:

أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

www.mtenback.com

المبرد، محمد بن يزيد:

الكامل، تحقيق: محمد أحمد الدّالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنا، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج:

صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، وشركاه، القاهرة، مصر.

المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي:

الترغيب والترهيب، علق عليه: مصطفى محمد عمارة، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم:

لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.

النابغة الذبياني:

ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر.

النسائي:

سنن النسائي، بشرح السيوطي، وحاشية الإمام السندي، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا.

أبو نواس:

ديوان أبي نواس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

النووي، محيي الدين:

رياض الصالحين، تحقيق: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

www.mtenback.com

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:

نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، مصر.

ابن هشام:

السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده، القاهرة، مصر، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com